التَّصْوِيرُ البَيَانِيُّ للنَّهَارِ عامة، وللصبح خاصة " فِي القُرْآنِ الكَرِيم" .

إعداد الدكتور

مريم بنت عبد الهادي القحطاني

الأستاذ المشارك بقسم الأدب ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.

من ١١٩٩ إلى ١٢٦٤

التَّصْوِيرُ البَيَانِيُّ للنَّهَارِ عامة، وللصبح خاصة " فِي القُرْآنِ الكَرِيم" .

مريم بنت عبد الهادي القحطاني
قسم الأدب ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني : m-q-44@hotmail.com

ملخص البحث:

يسعى هذا البحث إلى بيان وجه الإعجاز القُرآني في التَّصْوِير البَيَانيّ للنَّهَار في القرآن الكريم ، ويرصد الصور الفنية التي أتتْ للتعبير عن ذلك، سعيا لبيان جمالياتها، وأسرارها، متخذًا من الدراسة الرأسية المتعمقة اتجاهًا له، حيث يركز على آية قرآنية واحدة، مجليًا أسرارها التصويرية ، وجمالياتها الفنية فيها، ولكن بعد تتبع تشكيلات تصوير النهار في سائر القرآن الكريم ؛ لأنها من أقوى الصور البيانية في تصوير أجمل أجزاء النهار، ألَا وهو: الصبح .

ومن خلال ذلك ينكشف الأثر العميق لتصوير انبلاج الصبح الوارد في الآية الكريمة على الأدب العربي، وما مثَّله من نقلة فنية جليلة في الشعر العربي عامة، وفي تصوير الصبح خاصة.

وبذلك يؤسس البحث للنظر في الإعجاز القرآني في تصوير موضوع ما، وفتح نافذة للباحثين لبناء نقدي يكشف عن الآثار الخفية للقرآن الكريم في تكوين الصورة الفنية عند شعراء الإسلام .

الكلمات المفتاحية: تصوير – بياني – النهار – الصبح – القرآن

Graphic depiction of the day in general, and of the morning in particular "In the Noble Qur'an".

Maryam bint Abdulhadi Al-Qahtani
Department of Literature, College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, Saudi Arabia.
E-mail: m-q-44@hotmail.com

Abstract

This research seeks to clarify the Qur'anic miracle in the graphic depiction of the day in the Holy Qur'an, and monitors the artistic images that came to express this, in an effort to clarify its aesthetics and secrets, taking the in-depth vertical study as a direction, where it focuses on one Qur'anic verse, revealing its pictorial secret and its artistic aesthetics in it, but after tracing the formations of daytime depictions in the rest of the Holy Qur'an; Because it is one of the most powerful graphic images in depicting the most beautiful parts of the day, which is morning.s.

Through this, the profound impact of portraying the dawning contained in the noble verse on Arabic literature, and the great artistic shift it represented in Arab poetry in general, and in portraying the dawn in particular, is revealed.

Thus, the research establishes the consideration of the Qur'anic miracles in depicting a subject, and opens a window for researchers to build a criticism that reveals the hidden effects of the Holy Qur'an in the formation of the artistic image of the poets of Islam.

Keywords: photography - graphic - day - morning - Quran

المقدمة

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [١] الآية القرآنية الكريمة التي قرأها المسلمون منذ مئات السنين، ولاتزال تُقرأ بفضل الله وكرمه، وعبر القرون المتطاولة ، ظلَّ لها ألقها الجليل، وما تشيع في النفوس من الإدهاش والأُخذة ؛ لما فيها من صورة بيانية معجزة، وهو ما ذكره علماء التفسير، والبلاغة وغيرهم من علماء الإسلام.

ومن هنا ولدت تساؤلات البحث ومشكلته: كيف جاء تصوير انبلاج الصبح في القرآن الكريم ؟ وما الخصوصيات اللغوية والبلاغية في ذلك التصوير الذي أدهش العربَ الفصحاء ، أهل البلاغة، وأرباب البيان؟ وما وجوه الإعجاز في ذلك التصوير الفني لانبلاج الصبح ؟ أكان ذلك التصوير البياني خاصا بانبلاج الصبح، أم جاء في تصوير النهار عامة ؟ولا سبيل للإجابة عن ذلك إلا بتتبع الصورة الفنية للنهار في كتاب الله العزيز، ومنزلة صورة الصبح منها، فهي بمثابة الفرع من الأصل، فهل كان هناك خصوصيات في التصوير البياني للنهار عامة في القرآن الكريم، تميز بها وتقدّم على الليل ؟ وما مميزات تصوير الصبح من تصوير النهار في القرآن الكريم ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات فقد سار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي .

ومع أن علماء الإسلام اعتنوا أشد العناية بدراسة كل ما في القرآن، لكن هذا الجانب لايزال في حاجة إلى جلاءٍ وبيانٍ، وقد عرضت بعض الدراسات لجوانب من موضوع البحث، ولكن جانب التصوير البياني للصبح

---

(١) سورة التكوير: ١٨.

في القرآن الكريم ظَلَّ كنزا مذخورًا، لعل الله أن ييسر بيانه، والوقوف على ما يَمُنُّ الله به من أسرار صوره المعجزة.

وتلك الدراسات على قسمين:

- القسم الأول – كتب التفسير كافة ؛ لأن كل عالم حين يفسّر كتاب الله ستجد عنده ذكرا للآيات التي تصور انبلاج الصبح، والنهار، ويتفاوتون في ذلك حسب مناهجهم في التفسير، بين باسط للقول، وموجز فيه، وهذا القسم هو الأكبر .
- القسم الثاني – دراسات اختصت بالبحث في جوانب من هذا الموضوع، ولكن من منظور مختلف، وهي دراسات قليلة:

– مقامات (أصبح) في القرآن الكريم – ياسر بن محمد بابطين – بحث منشور في مجلة الدراسات اللغوي والأدبية – الجامعة الإسلامية العالمية – س٧ – ع٣ – ٢٠١٦م

اتجه هذا البحث للعناية بالجانب النحوي من استعمال الفعل (أصبح) الذي هو من أخوات (كان)، وحصر اهتمامه بهذا البناء النحوي خاصة، فهو ليس بحثا في صورة الصبح الفنية في القرآن الكريم، وإنما بحث في صيغة (أصبح) نحويا، وما تدل عليه في السياقات التي وقعت فيها .

– الفعل (يُغْشِي)في القرآن الكريم، دراسة في تحولاته الدلالية والأسلوبية – إسراء مؤيد رشيد – مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية – مج ٣ – ع١٢ – ٢٠١٢م

وهذا البحث أيضا يركز على صيغة الفعل (يُغْشِي)، وما استعمل منه في القرآن الكريم، ودلالات ذلك أسلوبيا . وهو يتقاطع مع البحث في آية واحدة، هي قوله تعالى " يغشي الليل النهار " وهو التقاء في جزء محدد محصور، ثم لكل منهما وجهته ومقاصده .

- النهار في القرآن الكريم – عبدالله صالح الخضري – مجلة العلوم الإسلامية الدولية – مج ٤ – ع٤ – ٢٠٢٠ م

والبحث يعنى بما حثَّ الله عليه عباده من أعمال النهار في كسب المعاش، والتعبد، والدعوة إلى الله، أي إبراز الأعمال التي يقوم بها الإنسان خلال النهار كما وردت في القرآن الكريم، وحصر أقسام النهار المذكورة في القرآن، وما ارتبط بكل أقسام النهار من أعمال ومنافع .

وبذلك فهو يباين هذا البحث ؛ لأنه لم يجعل مصبّ اهتمامه النظر في الصور البيانية التي جاءت للصبح في القرآن الكريم، وإنما اتجه للمضامين التي حثَّ الله عليها عباده في النهار .

- الليل والنهار في القرآن الكريم – ديالا عبد الجبار – رسالة علمية قدمت للحصول على درجة الماجستير من جامعة النجاح الوطنية نابلس، ٢٠١٠م

والرسالة من أربعة فصول، الأول عن مفهوم الليل والنهار في القرآن الكريم، وأسماء أجزاء كل منهما كما وردت في كتاب الله العزيز ، وهذا يتعلق بالتحديد اللغوي المحض لمفردات الظاهرتين، ثم الفصل الثاني عن استخدام الليل والنهار في القرآن الكريم، باعتبارهما وحدة زمنية، أو للدلالة على الدوام الزمني، أو للدلالة على قدرة الله، أو للقسم بهما، ثم الفصل الثالث: اللطائف البيانية في آيات الليل والنهار، مثل: مواضع الاقتران، ومواطن الانفراد، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وكل ذلك لا يتعلق بالتصوير الفني مطلقا، ثم الفصل الرابع عن: حقائق علمية عن الليل والنهار في القرآن الكريم، وكل تلك الفصول – كما سبق بيانه – لم تتجه للبحث في التصوير البياني للنهار عامة، و للصبح خاصة في القرآن الكريم

- الليل والنهار في القرآن الكريم، دراسة دلالية - إيمان صاحب الموسوي، وفضيلة عبد العباس الأسدي .

البحث يعتني بما في آيات الليل والنهار من دلالات على وحدانية الله وقدرته، وارتباطهما بمنافع العباد، من عبادات، ومواقيت ، ولم يكن من مقاصده دراسة التصوير البياني لهما .

- آيات الصبح في القرآن الكريم، دراسة موضوعية – خليل محمود حسين النشمة – مجلة كلية العلوم الإسلامية – جامعة الموصل – مج ٨ – ع١٥ – ٢٠١٤م .

ركز البحث على الآيات التي وقع فيها لفظ : (الصبح) من حيث: القسم بالصبح، والقسم الثاني: فضل التسبيح في الصبح، يليه أن الصبح وقت الإغارة على الأعداء، ، وأنه وقت نزول العذاب على الكافرين .

وبذلك يتضح أن البحث مباين لما يستهدفه هذا البحث ؛ لأن العناية هنا متجهة للتفتيش عن جماليات التصوير البياني للصبح في القرآن الكريم، وهو جانب لم يذكره بحث الباحث الكريم خليل النشمة .

- الليل والنهار في القرآن الكريم، دراسة موضوعية – غادة عوض الله محمد – رسالة دكتوراه – جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية – الخرطوم – ٢٠١١م

الرسالة من أربعة فصول، الفصل الأول: تعريف آيتي الليل والنهار في القرآن، لغة واصطلاحا عند علماء الفلك وعند علماء التفسير، ثم آية خلقهما، واختلافهما، وتعاقبهما، والتكوير، والإغشاء .

- الفصل الثاني: عن التأمل والتدبر في الليل والنهار، وما فيهما من عظمة الخالق، والإقسام بهما، وقصص الأنبياء فيهما . ثم الفصل الثالث: منافع دوران الليل والنهار للعباد، فهما ميقات زمني، وإقامة العبادات، ثم

الفصل الرابع عن الإعجاز العلمي لآيات الليل والنهار . وكل هذه الفصول ومباحثها لم تبحث عن التصوير البياني القرآني لليل والنهار مطلقا.

- دلالات الليل والنهار في القرآن الكريم – فاطمة علي صالح دخيل – رسالة ماجستير – جامعة سبها – ٢٠١٤ م .

اهتمت الرسالة بالجانب التدبري والدعوي عن هذا النوع من الآيات .

- آيتا الليل والنهار في القرآن الكريم، خصائصهما وفضلهما – نوال بنت ناصر الثويني – بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة – ع٣٥ – ج١ – ٢٠١٨م

اعتنت بعمل اليوم والليلة كما ورد في القرآن الكريم، وما لتلك الآيات من الفضائل والخصائص التعبدية .

في ضوء العرض السابق لطائفة من الدراسات السابقة يتبن أن جانب البحث في التصوير البياني للنهار في القرآن الكريم لم يحظَ بما يستحق من عنايةٍ، وتدبرٍ، مع أن التصوير البياني القرآني للنهار تميز بالإعجاز الذي يفوت قدرات البشر، وقد أسست بحثي هذا على بحث سابق عن صورة الصبح خاصة، في الشعر الجاهلي[٢]، وكان أهم ما توصلت إليه : أن الجاهليين – وهم أرباب الفصاحة والبلاغة –لم يتفننوا في التصوير البياني للصبح، بينما جاء عندهم التصوير البياني لسواه من الآثار العلوية، كالشمس، والقمر، والسحاب، والمطر، وهنا كانت دهشتهم، وأُخذتهم بما في القرآن الكريم من تصوير بياني للصبح، فجعلوا يحتذونه في أدبهم، وتنامى ذلك شيئا فشيئا بعد الإسلام، منذ صدر الإسلام، ثم زاد في العصر الأموي، ثم

---

(٢) مريم عبد الهادي القحطاني – صورة الصبح في الشعر الجاهلي – بحث منشور في مجلة جامعة سامراء – العراق – المجلد ١٧ – ع ٦٦ – السنة ١٦ – ٢٠٢١م.

بلغ غاية سطوعه في العصر العباسي، وبذلك فإن تلك النقلة الإبداعية في تصوير انبلاج الصبح في الشعر العربي إنما كانت استضاءة بما في القرآن الكريم من تصوير بياني للنهار عامة، وللصبح خاصة .

وفي سبيل تحقيق مقاصد البحث وأهدافه، والإجابة عن أسئلته، جاء تقسيمه إلى: مقدمة، وتمهيد عن مفهوم التصوير البياني، ومفهوم النهار، ثم جاء مبحثان :

المبحث الأول: التصوير البياني للنهار في القرآن الكريم .

المبحث الثاني: التصوير البياني للصبح في القرآن الكريم .

ثم الخاتمة، وتضم النتائج والتوصيات، والله الموفق والمستعان .

التمهيد

مفهوم التَّصْوِير البَيَانِيّ :

للكلام العالي سمات عديدة، من بلاغةٍ، وفصاحةٍ، وحُسْنِ بَيَانٍ عن المقصود، ومراعاةٍ لحال المخَاطَب، وللمَقَال، وغير ذلك كثير، ومن ركائز البيان العالي وسماته، ما يأتي فيه من التصوير البياني، وبه تعلو رتبةُ متكلم على متكلم، ويتفوق كلامٌ على كلام ؛ والتصوير البياني من أهم سمات الشعر بالذات، وينبغي التنبيه على أن التصوير قد يُطْلَقُ، ويراد به التصوير بمعناه العام الذي يشمل كلَّ صنعة الشَّاعر في شِعره، قال الجاحظُ في تعريف الشِّعْرِ : " فإنما الشعرُ صناعةٌ، وضربٌ من النَّسْجِ، وجنسٌ من التصوير "[٣] أما التصوير البياني فالمراد به فنون الاستعارة، والتشبيه ، والكناية، وهي تلك الفنون التي تكشف غوامض المعاني ، قال ابن رشيق القيرواني: " والتشبيه، والاستعارة يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد " [٤].

وبناء عليه فإن مصطلح التصوير البياني يراد به: الصور القائمة على أسس علم البيان ... وعلم البيان هو علم يبحث فيه عن التشبيه، والمجاز، والكناية "[٥].

ووجه تسمية هذه الفنون من علم البيان بالصور البيانية: "لأن كل كلام يتصل بالتشبيه، والاستعارة، والكناية، يثير في الخيال صورة ذهنية"[٦].

---

(٣) الحيوان – ج٣ / ١٣٢.

(٤) ابن رشيق القيرواني – العمدة – ج١ / ٢٨٧.

(٥) التفتازاني، سعد الدين، مسعود بن عمر التَّفْتَازَانِيّ (ت ٧٩٢ ه) – المُطَوَّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم – تحقيق: عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ٢ – ٢٠٠٧م – ٥١٥.

(٦) سعود الصاعدي – صناعة البيان، بحث في الموازنة بين صور المعاني – مكة

وللتصوير البياني في الكلام العالي فوائد لا تحصل إلا به، فهو يخرج المعاني الغامضة إلى الوضوح، ويصور العواطف بأيسر سبيل، ويجعل السامع يعيش المعنى، وكأنه يراه ويسمعه، ويلمسه، و إذا كان ذلك في كلام الناس بليغ، فهو في القرآن الكريم معجز، ومن رحمة الله بعباده ما جاء في كتابه العزيز من الصور البيانية، ليتضح المراد، وتقوم الحجة، وتتبين النعمة، " والتصوير البياني في القرآن الكريم يُعَدُّ من أعظم الوسائل الفنية، في دراسة النص القرآني، فهو يجسد المعنى، ويرسم الصورة، ويشخص الحدث "(٧).

ومما ينبغي بيانه أنَّ على المحلل للكلام أنْ يدرك الفروقَ، ودقائقَ الاختلاف بين مَدَارج الصور البيانية في آفاق الخيال، وأيُّها من باب الحقيقة، وأيها من باب المجاز، ولمزيد من التوضيح فإن المراد من الحقيقة، و من المجاز، ما عرّفه السكاكي – رحمه الله – حيث قال : " فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له، من غير تأويل في الوضع ...والمجاز، هو: الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في هذا الموضوع "(٨).

وأولُ الصور البيانية: التشبيه، وهو من الحقيقة، لا من المجاز،

المكرمة – نادي مكة الثقافي الأدبي – ط١ – ٢٠١٣م – ١٨٢

(٧) سليم مفتاح العربي الصديق – التصوير البياني في سورة الحاقة – بحث منشور في مجلة جامعة المرقب – ع ٦ – ٢٠١٥م – ص٧.

(٨) السَّكَّاكِي ،أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد (ت ٦٢٦ه) – مفتاح العلوم – حققه، وقدم فهارسه: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ٢٠٠٠م – ٤٦٧، ٤٦٨.

بخلاف الاستعارة، فهي من المجاز ... فالتشبيه من أساليب الحقيقة ؛ لأن الكلمات فيها لم تنتزع من دلالاتها لتستعمل في شيء آخر، والاستعارة من أساليب المجاز ؛ لأن الكلمة فيها جرتْ على غير ما هي له "[٩].

وعرّف علماء البلاغة التشبيه بأنه: " الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى "[١٠].

ثم الاستعارة، وهي تُبنى على التشبيه ، فكأنها بذلك درجة أخرى في عالم الخيال ، أي أن " مبناها على التشبيه "[١١]. وهي: " استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة "[١٢].

أما الكناية فهي: " ترك التصريح بذكر الشيء، إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول: فلانٌ طويل النِّجَاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة ... وسمي هذا النوع: كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح، ودلالة (كنى) على ذلك ؛ لأن (ك، ن، ى) كيفما تركبت دارت مع تأدية معنى الخفاء"[١٣]. فيتجاذبها أصلان: حقيقة، ومجاز، ومن هنا فرقوا بين الكناية، والاستعارة من أوجه ثلاثة[١٤]، هي:

- الوجه الأول: العموم والخصوص، فالاستعارة عامة، والكناية خاصة، فإن كل استعارة كناية، وليس كل كناية استعارة

---

(٩) محمد أبو موسى – التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان – ١٧٨.

(١٠) الخطيب القزويني، – الإيضاح في علوم البلاغة –راجعه، وصححه، وخرّج آياته: بهيج غزاوي – دار إحياء العلوم – بيروت – ط٢ – ١٩٩٢م – ٢٠٣.

(١١) . السكاكي – مفتاح العلوم – ٤٩٨

(١٢) محمد أبو موسى – التصوير البياني – ١٨٢.

(١٣) السكاكي – مفتاح العلوم – ٥١٢.

(١٤) يحيى بن حمزة العلوي – الطراز – ج١ / ٢٩٢.

- الوجه الثاني: أن الكناية يتجاذبها أصلان: حقيقة، ومجاز، وتكون دالة عليهما معا عند الإطلاق، بخلاف الاستعارة فهي من المجاز
- الوجه الثالث: لفظ الاستعارة صريح، ودلالتها على ما تدل عليه من الحقيقة والمجاز علي جهة التصريح، بخلاف الكناية، فإن دلالتها على معناها المجازي ليس من جهة التصريح، بل من جهة الكناية[١٥].

وقد ناقش علماء الإسلام مسألة مجيء المجاز في القرآن الكريم، فكان منهم من نفى مجيء المجاز في القرآن كله ، ومنهم من أجاز مجيئه في القرآن الكريم إلا في الأسماء والصفات ، ومنهم من توسع فجعله في القرآن كله ، وقد فصّل الشيخ عبد العظيم المطعني أقوال العلماء عن ذلك[١٦]، وجعلهم في ثلاثة فِرَق:

- الفريق الأول: يقول بوقوعه في اللغة، وفي القرآن الكريم، وفي الأحاديث الشريفة وفريق يرى أنه غير واقع لا في اللغة، ولا في القرآن، ولا في الأحاديث .

وآخر يذهبون إلى نفيه عن القرآن، وعن الأحاديث، ولم يتحمسوا لنفيه عن اللغة .

وبيَّنَ أنَّ منشأ الخلاف – فيما يُرَجّحُ – هو البحث في أسماء الله وصفاته، فكان مذهب السلف إقرار تلك الأسماء والصفات على ماهي عليه، من غير تأويل، ولا تمثيل، ولا تعطيل، أما آخرون فقد أوّلوا كل ما أوهم ظاهره تمثيلا، أو تجسيما، ومن هنا ولد الخلاف في مسألة المجاز في القرآن

---

(١٥) يحيى بن حمزة العلوي – الطراز – ج١ / ٢٩٢.

(١٦) عبد العظيم المطعني – المجاز في اللغة و القرآن الكريم بين الإجازة، والمنع، عرض، وتحليل، ونقد – مكتبة وهبة – ط١ – د ت – و .

الكريم[١٧] .

وانتهى في ختام كتابه الكبير بجزأيه أن "المجاز لا حظر، ولا خطر من وقوعه في اللغة، ولا حظر، ولا خطر من وقوعه في القرآن الكريم، إلا الآيات التي تتحدث عن الأسماء، والصفات "[١٨].

وقد ناقش الزركشي مسألة مجيء الاستعارة في القرآن الكريم، قال عن الاستعارة: " هي من أنواع البلاغة، وهي كثيرة في القرآن، ومنهم من أنكره، بناء على إنكار المجاز في القرآن، والاستعارة مجازٌ "[١٩].

ثم ساق أمثلة للاستعارة منها: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً ﴾[٢٠].

ومن المسائل المهمة التي ناقشها علماء البلاغة والبيان: أي الأساليب أبلغ ؟ الحقيقة أم المجاز ؟ قال السكاكي جوابا عن ذلك :

" واعلم أن أرباب البلاغة، وأصحاب الصياغة للمعاني، مطبقون على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر، والسبب أن المجاز أبلغ من الحقيقة هو ما عرفت من أن مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلي اللازم، فأنت في قولك " رعينا الغيثَ " ذاكرا للملزوم: النبت، مريدا لازمه ... والسبب أن

---

(١٧) عبد العظيم المطعني – المجاز في اللغة، وفي القرآن الكريم – ز، ح.

(١٨) عبد العظيم المطعني – المجاز في اللغة والقرآن الكريم – ج٢ / ١١٤٢.

(١٩) الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ ه) – البرهان في علوم القرآن – خرّج حديثه وقدّم له وعلّق عليه: مصطفي عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د ط – ٢٠٠١م – المجلد الثالث – ٤٨٩.

(٢٠) انظر: الزركشي – البرهان – المجلد الثالث – ٤٩٢ وما بعدها.

الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه أمران: أحدهما أن في التصريح بالتشبيه اعترافا بكون المشبه به أكمل من المشبه في وجه التشبيه ... والثاني: أن في ترك التصريح بالتشبيه إلى الاستعارة التي هي مجازٌ، مخصوص الفائدة التي سمعتَ في المجاز آنفا "[٢١].

والشاعر حين يأتي بالصور البيانية من تشبيه ، واستعارة ، وكناية فإنه يسعى إلى تحقيق أهداف ما كان لها أن تتحقق إلا بمجيء تلك الفنون ، وقد بيّن الشيخ محمد أبو موسى المزية العظمى في هذه الأساليب، فقال: " فليست مزايا هذه الأساليب راجعةٌ إلى تضخيم المعاني، والمبالغة والتهويل في أقدارها، لأن هذا ليس طبع البيان النابع من القلب، ... وإنما المزية في تقريرها في نفس السامع ... هكذا ترى البيان في حقيقته إنما هو توكيد للنسبة إثباتا، أو نفيا "[٢٢]. وأكد أن المزية في هذه الفنون " مرجعها هو تقرير المعنى، وتوكيد إثباته "[٢٣].

مفهوم النَّهَار:

في اللغة: " اسْتَنْهَرَ النَّهْرُ: اتسعَ، وَأَنْهَرْتُ فَتْقَ الضَّرْبَة: وَسّعْتُهُ، وَأَنْهَرْتُ الدَّمَ: أَسَلْتُهُ "[٢٤].

وفي اللسّان: " النَّهَارُ ضِيَاءُ ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقيل: من طلوع الشمس إلى غروبها[٢٥].

وفي الشعر الجاهلي جاء الفعل (أَنْهَرَ) دالا على الاتساع، قال قَيْسُ بن

---

(٢١) السكاكي – مفتاح العلوم – ٥٢٣.

(٢٢) محمد أبو موسى – التصوير البياني – ٤٣٦.

(٢٣) محمد أبو موسى – المرجع نفسه – الصفحة نفسها.

(٢٤) الزمخشري – أساس البلاغة – ٦٦٠.

(٢٥) لسان العرب – نهر.

الخطيم يصف طعنةً طعنها خصمًا له[٢٦]:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِما مِنْ خلفها مَا وَرَاءَهَا

أما معناه باعتباره الزمني فللعلماء قولان في حدّ النهار، القول الأول: قاله الزَّجَّاج في كتاب الأَنْوَاء، حيث ذهب إلى أن النهار المحض من طلوع الشمس إلى غروبها، أما الوقت من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فجعله من المشترك بين الليل والنهار[٢٧].

وقد ناقش القرطبي هذا القول، وذكر القول الثاني، الذي يرجحه هذا البحث، ويمضي عليه، وهو أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، استدلالا بحديث صحيح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال القرطبي في تفسيره: " والصحيح أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما رواه ابن فارس في المجمل، يدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم عن عديّ بن حاتم قال: " لما نزلتْ : " حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " قال له عَدِيٌّ: يا رسول الله، إني أجعل تحت وسادتي عِقالين: عِقَالا أبيض، وعِقَالا أسودَ، أعرف بهما الليل من النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنَّ وسادك لعريضٌ، إنما هو سواد الليل، وبياض النهار " فهذا الحديث يقضي أن النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهو مقتضى الفقه في الأيمان، وبه ترتبط الأحكام، فمن حلف ألا يُكلّم فلانًا نهارًا، فكلمه قبل طلوع الشمس، حَنَثَ، وعلى القول الأول لا يحنث، وقول النبي صلى الله عليه وسلم هو الفيصل في ذلك والحكم "[٢٨].

وبذلك فالنهار هو الزمن الممتد من طلوع الفجر الثاني، إلى غروب الشمس.

---

(٢٦) قيس بن الخطيم، ديوانه – تحقيق: ناصر الدين الأسد – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٩٦٧م – ٤٦.

(٢٧) انظر: القرطبي – الجامع لإحكام القرآن – ج٢ / ١٩٤ .

(٢٨) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٢/ ١٩٤.

المبحث الأول – التصوير البياني للنَّهار في القرآن الكريم :

مدخل:

لابد لنا من إلقاء نظرة عامة على مجيء ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم، ومواطن ذلك، كي نحدد تبعا لذلك مواطن مجيء ذكر النهار وأحواله ؛ ومن ثم عن الصبح وانبلاجه ؛ لأنه قسمٌ من أقسام النهار، وعندها نرصد مواضع مجيء التصوير البياني للنهار في القرآن الكريم بعد رسم خريطة مفردات النهار في القرآن الكريم، ومرادفاته، وأجزائه، والله المعين والميسر.

و قد جاء ذكر الليل والنهار في القرآن الكريم على نوعين:

مجيء لفظي النهار والليل نصا، ومجيء ألفاظ مرادفة لهما، دالة عليهما، أو دالة على جزء منهما .

النوع الأول – مجيء لفظي الليل والنهار نصا في القرآن الكريم :

وذلك على ثلاث حالات: الحالة الأولى اقترانهما بالذكر، والحالة الثانية إفراد الليل بالذكر، والحالة الثالثة إفراد النهار بالذكر .

- الحالة الأولى – اقتران ذكر الليل والنهار معا في القرآن الكريم: وهذا هو الكثير الغالب في كتاب الله العزيز، فهو في المرتبة الأولى من الحضور في القرآن الكريم .
- الحالة الثانية – إفراد الليل بالذكر: ويأتي في المرتبة الثانية من الحضور في القرآن الكريم ،في اثنتين وثلاثين موضعا، وله قسمان :
- القسم الأول :إفراد الليل بالذكر: في تسعة عشر موضعا من القرآن الكريم، ولم يرد في أي منها تصوير فني لليل .
- القسم الثاني: إفراد الليل بالذكر في آية واحدة ما، ولكن يسبقه، أو يليه ذكر النهار ،في ثلاثة عشر موضعا، فهو داخل في اقتران الليل والنهار،

ولكن كل منهما في آية منفصلة، وقد جاء في عددٍ منا تصوير فني لليل، مثـــل: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ [٢٩]،﴿ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ [٣٠]،﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [٣١]،﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴾ [٣٢].

وكل ما يخص الليل فإنه ليس مقصدا لهذا البحث، ولكنه توضيح لابد منه .

- الحالة الثالثة – إفراد النهار بالذكر: ويأتي في المرتبة الثالثة من الحضور في القرآن الكريم ، حيث جاء في سبع آيات كريمات، وذلك على قسمين :
- القسم الأول: ذكر النهار منفردا، دون أي ذكر لليل في السياق قبله، أو بعده ، وقد جاء في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وفي واحد منها أتى بصورة بيانية ، في قوله تعالى: ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٣] ، أما سائر المواضع فلم يكن فيها تصوير بياني، وهي: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٤] ، ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [٣٥] ، ﴿ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [٣٦] .

---

(٢٩) سورة النبأ: ١٠.
(٣٠) سورة المدثر: ٣٣.
(٣١) سورة الليل: ١.
(٣٢) سورة الشمس: ٤.
(٣٣) سورة آل عمران: ٧٢.
(٣٤) سورة يونس : ٤٥.
(٣٥) سورة الأحقاف : ٣٥.
(٣٦) سورة المزمل :٧.

- القسم الثاني: إفراد النهار بالذكر في آية واحدة ما، ولكن يسبقه، أو يليه ذكر الليل، فهو داخل في اقتران الليل والنهار، ولكن كل منهما في آية منفصلة، في ثلاثة مواضع، هي: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ [٣٧]، ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ [٣٨]، ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ [٣٩]

الصور البيانية للنهار في القرآن الكريم :

لقد تبين بعد تتبع كل مواضع ذكر النهار في القرآن الكريم مجيء التصوير البياني للنهار في خمس وعشرين موضعا، رتبتها إلى خمس مراتب، وفق عدد مرات تكرارها، هي ما يلي:

- في المرتبة الأولى: أعلى تكرار للصورة البيانية كان في كلمة : (اختلاف) وذلك خمس مرات، و(خِلْفَة) مرة واحدة، فالمجموع ست مرات
- ثم في المرتبة الثانية جاءت الصورة البيانية (يُولِجُ)، حيث تكررت عن النهار خمس مرات، مع ذكرها لليل أيضا خمس مرات ، ولكن البحث معنيٌ بما يخص النهار فحسب .
- ثم في المرتبة الثالثة ما جاء أربع مرات، في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [٤٠] ثلاثا، والرابعة قوله سبحانه: (وآية النهار مبصرة)

ثم في المرتبة الرابعة ما جاء مرتين، وهي في الفعل: (يُغْشِي) .

وفي المرتبة الخامسة ما جاء مرة واحدة، وهي ثماني صور البيانية :

---

(٣٧) سورة النبأ :١١.

(٣٨) سورة الشمس :٣.

(٣٩) سورة الليل : ٢.

(٤٠) سورة يونس: ٦٧ .

﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ (٤١)

و ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ (٤٢)

و﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ (٤٣)

و ﴿ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (٤٤)

و﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ (٤٥)

و ﴿ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾ (٤٦)

و﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ (٤٧)

﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾ (٤٨)

فهذه خمس وعشرون صورة بيانية للنهار في القرآن الكريم .

وقد جاء ترتيبها في هذا البحث وفق عدد مرات ذكرها في القرآن الكريم، بدءًا من الأكثر، ثم الأقل، فالأقل، فجاءت على خمس مراتب، كما يلي: المرتبة الأولى (الصيغ المتكررة ست مرات)، ثم المرتبة الثانية (الصيغ المتكررة خمس مرات)، ثم المرتبة الثالثة (الصيغ المتكررة أربع

---

(٤١) سورة آل عمران: ٧٢.

(٤٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٤٣) سورة النور: ٤٤.

(٤٤) سورة الفرقان: ٤٧.

(٤٥) سورة سبأ: ٣٣.

(٤٦) سورة الزمر: ٥.

(٤٧) سورة يس: ٣٧.

(٤٨) سورة يس: ٤٠.

مرات)، ثم المرتبة الرابعة :(الصيغ المتكررة مرتين) ،وفي المرتبة الخامسة (الصيغ التي جاءت مرة واحدة فقط)

تحليل الصور البيانية للنهار حين يذكر نصا في القرآن الكريم:

أولا : صور المرتبة الأولى (اختلاف) خمس مرات، و (خلفة) مرة واحدة، فالمجموع ست مرات .

وكلمة (اختلاف) جاءت في كلام العرب بمعنى: " خلفته إذا جئت بعده"[٤٩] ولعل هذا المعنى هو ما جاء في قول أبي دؤاد الإيادي:

وَصَرْفُ النَّوى، واختلافُ الشُّهُوْ ر، يَسْلَخْنَ بَعْدَ الهِلَالِ الهِلَالا[٥٠]

فاختلاف الشهور أنْ يأتي الشهر بعد الشهر، أي: خَلْفَهُ .

ومن هذا الوجه استعملوا الاختلاف بمعنى الذهاب والمجيء إلى قوم، أو مكان، فتقول مثلا: اختلف فلان إلى المسجد، أي: تكرر ذهابه إليه، وعودته منه، قال ربيعةُ بن مقروم الضَّبِّيُّ:

وَإنْ لَمْ يَكُنْ إلَّا اختلافي إليكم فَإنِّي امرؤ عِرْضِي عَلَيَّ كَرِيْمُ[٥١]

وقد ذكر السمعاني في شرحه لقوله تعالى " واختلاف الليل والنهار " فقال: " وذلك ذهابهما، ومجيئهما، ومنه قولهم: فلان يختلف إلى فلان، أي: يذهب، ويجيء مرة بعد أخرى، ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[٥٢] أي: يخلف أحدهما الآخر "[٥٣].

---

(٤٩) لسان العرب – خلف.

(٥٠) شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الأدب العربي – غوستاف فون غرنباوم – ترجمة: محمد يوسف نجم وآخرين – بيروت – ١٩٥٩ م – ٣٣١.

(٥١) نوري حمودي القيسي – شعراء إسلاميون – عالم الكتب – دار النهضة – بيروت – ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م – ج١ / ٢٧٨.

(٥٢) سورة الفرقان : ٦٢

والمعنى الآخر للاختلاف: عدم الاتفاق، " تخالف الأمران، واختلفا: لم يتفقا"(٥٤)

وآيات هذه الصورة هي:

- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ (٥٥)
- ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٥٦)
- ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ "(٥٧) .
- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (٥٨)
- ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

---

(٥٣) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الحنفي (ت ٤٨٩هـ) – تفسير القرآن، تفسير السمعاني – المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس بن غنيم – دار الوطن – الرياض – ط١ – ١٩٩٧م – ج١ / ١٦٢.

(٥٤) لسان العرب – خلف.

(٥٥) سورة البقرة: ١٦٤.

(٥٦) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٥٧) سورة يونس: ٦.

(٥٨) سورة المؤمنون: ٨٠.

بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [٥٩]

- وصيغة (خِلْفَة) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٦٠]

وبناء على التفسير اللغوي فسّر العلماء لفظ (اختلاف الليل والنهار)، وقد تفاوت علماء التفسير في مبلغ عنايتهم بجلاء هذا اللفظ، بل العديد منهم يكتفي ببيان معنى كلمة اختلاف في آية سورة البقرة عما سواها من المواضع، أو يكتفي بالقول إن الاختلاف هو تعاقبهما[٦١].

ومن أفضل مَنْ بيّن تفسير هذه الكلمة (اختلاف) : الواحدي – رحمه الله – في تفسيره لآية سورة البقرة رقم ١٦٤، حيث قال: " وفُسّر الاختلاف هاهنا تفسيرين، يرجعان إلى أصل واحد، أحدهما: افتعال، من قولهم: خَلَفَه يخلُفه، إذا ذهب الأول، وجاء الثاني خلافه، أي: بعده، فاختلاف الليل والنهار: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه، ويجيء من عنده، فذهابه يخلف مجيئه، ومجيئه يخلف ذهابه، أحدهما خلاف الآخر، أي: بعده، وكل شيء يجيء بعده شيء فهو: خِلْفة، وبهذا فُسّر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ [٦٢] قال الفرّاء: يذهب هذا، ويجيء هذا، والثاني: قال ابن كيسان،

([٥٩]) سورة الجاثية: ٥.

([٦٠]) سورة الفرقان: ٦٢.

([٦١]) ابن عطية – المحرر الوجيز – ج١ / ٥٥٤، في تفسيره لآية آل عمران رقم ١٩٠.

([٦٢]) سورة الفرقان: ٦٢.

وعطاء في هذه الآية: أراد اختلافهما في الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان "[٦٣].

ويذهب البحث إلى ترجيح الوجه الأول، ومما ينبغي التنبيه إليه أنني لم أقف على قول أي مفسر ينصُّ فيه على أنّ صيغة (اختلاف) من الاستعارة ، وإنما هو رأي رجحته ، حيث شبه الليل والنهار بإنسانين ، يذهب هذا فيجيء هذا ؛ لأن الذهاب والمجيء من أفعال الإنسان، وهو الاختلاف والخِلْفة، وكأن هذه الكلمة لشدة قربها من شاطيء الحقيقة، كادت أن تكون منها، والله أعلم بمراده ؛ لأن وصف الزمن بالاختلاف وقع في شعر الجاهليين، كما في بيت أبي دؤاد الإيادي، وبعض المجازات إذا كثر استعمالها كادت أن تؤول إلى الحقيقة، وإنما رجحت أنها استعارة لسببين: أولهما أن هناك صور بيانية للنهار تمدُّ هذه الصورة وترفدها ، فللنهار وَجْهٌ، وله مَكْرٌ، وتَنَفُّسٌ، ونحوها من الصور .

وثانيهما ما كان لها من الأثر العميق المتغلغل في تصوير النهار عامة، والصبح خاصة عند الشعراء بعد الإسلام، فقد كثر عندهم تصوير مشهد انبلاج الصبح، وما فيه من ثنائية النور والظلام، صوروهما بإنسانين، هذا يذهب، وذاك يجيء، أو هذا هارب، وذاك طالب، وتفننوا في تلك الصور وتنويعاتها، أي أنها أمدتهم بمعين متدفق من الصور، وتنامى ذلك عبر عصور الإسلام، حيث جعلا الليل والنهار إنسانين، أحدهما يطرد الآخر، أو يطارده، وأحدهما هارب، والآخر في إثره، وهذه الصور المتنوعة إنما بسقت أغصانها، وأثمرت حين استمدت من معين التصوير البياني القرآني، من هذه الآية وأمثالها .

([٦٣]) الواحدي، ت ٤٦٨هـ – التفسير البسيط – ج٣/ ٤٥٤.

قال البغوي عن هذه الآية من سورة البقرة : " أي: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه، أي بعده"[٦٤].

أما قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٦٥].

فجاء الأمر نفسه، فكان للعلماء في تفسير ذلك قولان: الأول: الخِلْفة: كل شيء بعد شيء، فالليل خلفة للنهار، والنهار خلفة لليل؛ لأن أحدهما يخلف الآخر، ويأتي بعده، قال الفرّاء: يذهب هذا، ويجيء هذا، القول الثاني: يقال لكل شيء اختلفا: هما خِلْفان، إذا كان أحدهما طويلا، والآخر قصيرا، أو كان أحدهما أبيض، والآخر أسود ... وعلى هذا الخلفة من الاختلاف الذي هو ضد الاتفاق "[٦٦] وقال الطبري: " هذا يخلف هذا، وهذا يخلف هذا "[٦٧] قال الزمخشري: " يخلف أحدهما الآخر "[٦٨] وعلى القول الأول خاصة يكون في ذلك تصوير بياني، حيث شبّه الليل والنهار بإنسانين يذهب هذا ويجيء هذا خلفا له .

– صور المرتبة الثانية (يُولِجُ) : عن النهار خاصة أربع مرات[٦٩]، في، و

---

(٦٤) البغوي ، أبو محمد، الحسين بن مسعود (ت ٥١٠ ه) – تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن – حققه، وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط٤ – ١٩٩٧م – ج١/ ١٧٧.

(٦٥) سورة الفرقان: ٦٢.

(٦٦) الواحدي – التفسير البسيط – ج١٦ / ٥٦٨.

(٦٧) الطبري – جامع البيان – ج١٧ / ٤٨٧.

(٦٨) أساس البلاغة – ١٧٣.

(٦٩) في السور التالية: الحج، ٦١ ، ولقمان، ٢٩، وفاطر، ١٣، والحديد، ٦.

(تُوْلِجُ) مرة واحدة [٧٠] ، فالمجموع خمس مرات

و "الولوج: الدُّخُوْلُ، وَلَجَ البيتَ وُلُوْجًا، ولِجَة ... والمَوْلَج: المَدْخَلُ "[٧١]

وهي استعارة بديعة، وقد فصلّها الطاهر بن عاشور، فقال : " فإيلاج الليل في النهار: غشيان ضوء النهار على ظلمة الليل، وإيلاج النهار في الليل: غشيان ظلمة الليل على ما كان من ضوء النهار، فالمُولَج هو المختفي، فإيلاج الليل انقضاؤه، واستعارة الإيلاج استعارة بديعة ؛ لأن تقلص ظلمة الليل يحصل تدريجيا، فأشبه ذلك إيلاج شيء في شيء، إذ يبدو داخلا فيه شيئًا فشيئًا "[٧٢]، وقال عن آية سورة لقمان: "و الإيلاج: الإدخال، وهو هنا تمثيل لتعاقب الظلمة والضياء بولوج أحدهما في الآخر "[٧٣].

<u>– صور المرتبة الثالثة، (مُبْصر، مُبْصرة) تكررت أربع مرات :</u>

(النهار مبصرا) أربع مرات، ثلاثٌ منها بصيغة (مبصرا) [٧٤]، والرابعة بصيغة ﴿ مُبْصِرَةً ﴾ [٧٥].

وهذا الوصف للنهار يسبغ عليه الحياة، ويجعله حيا يبصر ؛ لأن الإبصار من شأن الأحياء، قال الطبري: " جعل النهار مبصرا، فأضاف الإبصار إلى النهار، وإنما يُبصرُ فيه، وليس النهار مما يُبْصِرُ، ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم، وذلك كما قال جرير:

---

(٧٠) آل عمران، ٢٧.

(٧١) لسان العرب – ولج.

(٧٢) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج١٧ / ٣١٥.

(٧٣) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج ٢١ / ١٨٥ .

(٧٤) في سورة يونس، ٦٧، وسورة النمل، ٨٦، وسورة غافر ٦١.

(٧٥) سورة الإسراء، ١٢.

لَقَدْ لمتنا يَا أُمَّ غَيْلَانَ لِلسُّرَى وَنِمْتِ، وما ليلٌ المَطِيِّ بِنَائِمِ

فأضاف النومَ إلى الليل، ووصفه به، ومعناه نفسه، أنه لم يكن نائما فيه، هو ولا بعيره "(٧٦).

ونصَّ الواحديُّ على أن ذلك استعارة، حيث قال: " جعل النهار مبصرا، أي: مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم، بالإبصار، والمبصِر: الذي يُبصر فيه، والنهار الذي يبصر فيه، وإنما جعله مبصرا على طريق استعارة صفة الشيء لسببه للمبالغة "(٧٧).

وقال ابن عطية: " " والنهار مبصرا " مجازٌ ؛ لأنَّ النهارَ لا يُبْصِرُ، ولكنَّه ظرفٌ للإبصَار "(٧٨).

أما الطاهر بن عاشور فقد عَدَّ ما جاء في الآية السابعة عشرة من سورة الإسراء من المجاز العقلي ، فقال: " وجعلنا آية النهار مبصرة " أي جعلنا الظلمة آية، وجعلنا سبب الإبصار آية، وأطلق وصف مبصرة على النهار على سبيل المجاز العقلي، إسنادًا للسبب "(٧٩).

وفي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٨٠) قولان، الأول أن المراد بآية النهار: الشمس، وعلى هذا القول فلا تدخل في البحث، وأما في

---

(٧٦) الطبري – جامع البيان – ج١٢ / ٢٢٨.

(٧٧) الواحدي –التفسير البسيط – ج١١ / ٢٥٥.

(٧٨) ابن عطيّة، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢ ه) – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢ ه – ج٣ / ١٣٠ .

(٧٩) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج ١٥ / ٤٤.

(٨٠) سورة الإسراء : ١٢.

القول الثاني " فمعناه: مضيئا، كأنه ذهب إلى أنه قيل: مبصرا ؛ لإضاءته للناس البصر "[٨١].

وبذا يكون على نمط الصورة البيانية السابقة في (مبصرا)

– صور المرتبة الرابعة، وهي التي جاءت مرتين، في الفعل (يُغْشِي) :

التغشية في اللغة: " إلباس الشيء الشيءَ [٨٢].

وقد جاءت في كتاب الله العزيز مرتين: في قوله تعالى: ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [٨٣]، وفي قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٨٤].

وقد جاء التصوير البياني في الفعل (يُغْشِي) على سبيل الاستعارة، ولما في ذلك التصوير من الإعجاز الذي يفوت طاقة البشر، ومن التصوير البياني العالي فقد أولاها العلماء اهتماما، ومزيد بيان، ووازنوا بين الإغشاء، والتكوير، والولوج، فقال صاحب الطراز : " الليلُ لا يغشى النهارَ، بخلاف التكوير ... وبخلاف الإيلاج ... فإن التكويرَ، والإيلاج يصلحُ أن يكون في كلٍّ واحد منهما كما في ظاهر الآيتين، والسِّرُّ في ذلك أن التكويرَ هو الجمع، ... والإيلاج هو الإدخال، يقال: وَلَجَ بيتَهُ، إذا دَخَلَ فيه، وهذان المعنيان يصلحان في كلٍّ واحدٍ من الليل والنهار، لأنَّ الليلَ يُجْمَعُ على النهارِ، كما يُجْمَعُ النهار على الليل، وهكذا الإيلاج، فإنَّ الليل يدخلُ على النهارِ، كما يدخلُ النهارُ على

([٨١]) الطبري – جامع البيان – ج١٤/٥١٧.

([٨٢]) الواحدي – التفسير البسيط – ج٩ / ١٧٢.

([٨٣]) سورة الأعراف: ٥٤.

([٨٤]) سورة الرعد: ٣.

الليلِ، بخلاف الغشيان، فإنَّهُ مخصوصٌ بالنهار، والِّسرُّ في ذلك أنَّ النورَ أمرٌ وجوديٌّ محققٌ، والظلمةُ أمرٌ عَدَميٌّ " (٨٥).

وفصّل الفخر الرازي القول في أوجه القراءات للآية الكريمة، وما يترتب عليها من معان، فقال: "يحتمل أن يكون المراد يلحق الليلُ بالنهار، وأن يكون المراد: النهارُ بالليلِ، واللفظ يحتملهما معًا، وليس فيه تغيير، والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: " يَغشى اللَّيلَ النهارُ" بفتح الياء، ونصب الليل، ورفع النهار، أي: يدرك النهارُ الليل ويطلبه " (٨٦)، وقد سبقه صاحب الكشاف فذكر الاحتمالين معًا، يقول : "يلحق الليلُ بالنهار، أو النهارُ بالليل، يحتملهما جميعًا، والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: " يَغشى اللَّيلَ النهارُ "، بفتح الياء، ونصب الليل ورفع النهار، أي: يدرك النهارُ الليلَ ويطلبه حثيثًا "(٨٧).

والصورة البيانية في قوله تعالى ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ هي: الاستعارة، كما سبق القول، وقد قال عنها صاحب الطراز أنها " استعارة حسنة، إذ الغشاء هو الغطاء، فَنَزَّلَهُ، أي: النَّهَار، في إذهابه لظلام الليلِ منزلة مَنْ يُغَطِّي الشيءَ بالغشاوة، ويستره ؛ لأنه يُذْهبُ ظُلْمَتَهُ، ويزيلها بطلُوعه ويمحوها بإنارته "(٨٨) .

وناقش احتمال أن تكون الصورة من التشبيه، لكنه عاد ورجّح أنَّها

---

(٨٥) يحيى بن حمزة العلوي اليماني (ت ٧٤٥ه) – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز – تحقيق: الشربيني شريدة – دار الحديث – القاهرة – د ط – ٢٠١٠م – ١١٦.

(٨٦) الفخر الرازي – مفاتيح الغيب – المجلد السابع – ج٤ – ص١٢٣.

(٨٧) الزمخشري – الكشاف – ج٢ –ص٨٢ .

(٨٨) يحيى بن حمزة العلوي – الطراز – ١١٧.

استعارة ؛ لأنها أظهر ، وتوجيه الآية على الاستعارة ألطف بمعناه ؛ " لأن المستعار منه مَطْوِيُّ الذكر "[٨٩] .

وتغلغل – رحمه الله – في سرِّ انتقاء كلمة (يُغْشِي) دون سواها، مثل: يُلبس، أو يخلط، فقال: " لأن لفظ التغشية أبلغ في الإحاطة، والشمول، من لفظة الإلباس، والاختلاط، مع ما فيها من الرقة والخفة، والسلاسة، وهي مؤذنةٌ بشدة الاتصال والالتحام بين الغشاوة، والمَغْشِي "[٩٠]

وقوله تعالى: ﴿ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾[٩١] أي: " حال من الليل، أي يغشى الليل النهار طالبًا له، ويحتمل أن يكون الجملة مستأنفة ليست بحال، و(حثيثًا) بدل من (طالب) المقدّر، أو نعت له، أو نعت لمصدر محذوف، أي: يطلبه طلبًا سريعًا، والحثّ: الإعجال والسرعة"[٩٢]، وقال البغوي في شرح هذه الآية مبينًا ما فيها من الحذف: " يغشى الليل النهار " .. يأتي الليل على النهار فيغطيه، وفيه حذف، أي: ويغشى النهار على الليل، ولم يذكره لدلالة الكلام عليه ... " يطلبه حثيثًا" أي سريعًا، وذلك أنه إذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكأنه يطلبه"[٩٣].

ولما في هذا التركيب من الإعجاز البلاغي الذي يفوق قدرة البلغاء نالت هاتان الآيتان العناية، والاهتمام، لأن التعبير (يغشي): " من أحكم البيان، ولا يهتدي إنسان لمثل هذا، وإنما يقوله الذي خلق، لأنه يَعْنِي أن المَلَوَين اللذين هما الليل والنهار سرمديين، لا يغيب أحدهما عن هذا الوجود،

---

(٨٩) يحيى بن حمزة العلوي – المصدر نفسه – الصفحة نفسها.

(٩٠) يحيى بن حمزة العلوي – المصدر نفسه – الصفحة نفسها.

(٩١) سورة الأعراف: ٥٤.

(٩٢) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٧ – ص١٩٩.

(٩٣) البغوي – معالم التنزيل – ج٢ – ص١٦٥ .

وإنما هما باقيان أبدا، وليلُ قومٍ هو نهارُ قومٍ آخرين "[٩٤].

– صور المرتبة الخامسة، التي لم يرد كل منها إلا مرة واحدة:

– ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [٩٥] :

ذكر الثعالبي ما يشير إلى أن (وجه النهار) من الاستعارة، حيث قال: " (وجه النهار) أوله، وبه نطق القرآن، ومن استعارات الوجه قولهم: وجه الدهر، ووجه الأرض، ووجه الزمر، ووجه القوم، للرئيس "[٩٦] .

والحكم بأنه استعارة "لأن الوجه أصله: الجارحة، ولما كان هو أول ما يستقبلك، وأشرف ما في البدن، تارة يستعمل في أشرف الشيء، فيقال: هذا وجه كذا، وتارة في مبدئه نحو: وجه النهار "[٩٧].

وبذلك فقد شبه النهار بالإنسان، وحذف الإنسان، وجاء بشيء من لوازمه، وهو الوجه، على سبيل الاستعارة، حين شبه أول النهار بوجه الإنسان .

– و ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾ [٩٨].

قال الطاهر بن عاشور موضحًا الاستعارة في الآية الكريمة: "شبَّه ظهور ظلام الليل في الأفق ممتداً من الشرق إلى الغرب، واختفاء نور النهار في الأفق ساقطًا من المشرق إلى المغرب، حتى يعم الظلام، بطلب الليل

([٩٤]) محمد أبو موسى – الزمر – محمد، وعلاقتهما بآل حم، دراسة في أسرار البيان – مكتبة وهبة – ط١ – ٢٠١٢م – ٥١.

([٩٥]) سورة آل عمران، ٧٢ .

([٩٦]) الثعالبي، أبو منصور ت ٤٢٩ ه – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – ج١ / ٣٢٤.

([٩٧]) الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ه – تفسير الراغب الأصفهاني – ج٢ / ٦٣٥.

([٩٨]) سورة الأعراف، ٥٤.

النهار على طريقة التمثيل، وكذلك يفهم تشبيه امتداد وضوء الفجر في الأفق من المشرق إلى المغرب، واختفاء ظلام الليل في الأفق ساقطًا إلى المغرب حتى يعمَّ الضياء الأفق بطلب النهار الليل على وجه التمثيل، ولا مانع من اعتبار التنازع للمفعولين في جملة الحال .. فالمعنى يطلبه سريعاً مجداً في السرعة؛ لأنه لا يلبث أن يخفي أثره "[٩٩].

فالآية الكريمة بثَّتْ الحياةَ في الليل والنهار، فجعلتهما حيّين متحركين حركة لا تفتر ولا تنقطع، كل منهما يطلب صاحبه، وقد سَرَتْ أنفَاسُ هذه الآية الكريمة في الشعر العربي في العصور التالية لنزول القرآن الكريم، و استثمر الشعراء هذه الصورة البيانية الفريدة في تشكيلات فنية بديعة.

- و ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ [١٠٠] .

قال الفخر الرازي: " فيه وجوه، منها: تعاقبهما، ومجيء أحدهما بعد الآخر، ... ومنها ولوج أحدهما في الآخر، ... ومنها تغير أحوالهما في البرد والحر، وغيرهما، ولا يمتنع في مثل ذلك أن يريد تعالى معانيَ الكل "[١٠١] ولم أقف على قول لعالم أن هذه الصيغة من المجاز إلا في إعراب القرآن للنحاس، حيث قال: " " يقلب الله الليل والنهار " مَجَازٌ، أي: يقلب هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، فإذا زال أحدهما، ودخل الآخر، كان بمنزلة ما قُلِبَ إليه "[١٠٢].

([٩٩]) التحرير والتنوير – المجلد الرابع – ج٨ – ص١٦٧-١٦٨.

([١٠٠]) النور، ٤٤.

([١٠١]) الرازي – مفاتح الغيب – ج٢٤ / ٤٠٦.

([١٠٢]) النَّحَّاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ه) – إعراب القرآن – وضع حواشيه، وعلَّقَ عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١ه – ج٣ / ٩٩.

وتنبه أحد الباحثين المعاصرين لما في هذه الصورة من جماليات التصوير فقال: " ويعبر عنهما بصورة التقليب الحسية، كقوله تعالى: " يقلب الله الليل والنهار " وصورة تقليب الليل والنهار بهذا النظام المتعاقب بدقة ونظام، توقظ القلب، وتدفع الإنسان إلى التفكر بما فيها من دقة، وتناسق، مع حركة الشمس"[١٠٣]. ويؤكد الباحث على ما ترمي إليه الآية باستحضار هذه الصورة البيانية ، وما فيها من الجانب الحسي لتحقيق المراد، وتقوية ذلك بأن سبقها الفعل (ألم ترَ) في الآية ٤٣ المختومة بذكر الأبصار، ثم جاءت صورة التقليب الحسية، وختمت الآية ب " إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار " فيقول: " فالصورة هنا تلح على الجانب الحسي، بفعل الرؤية الحسي (ألم ترَ) ولكنها تجعلها العبرة هي المقصودة من هذه الصور الحسية لعبرة أولي الأبصار "[١٠٤].

وهذه الصورة البيانية هي استعارة، حيث " شبّه تعاقب الليل والنهار بتقليب الأشياء المادية "[١٠٥].

- و ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾[١٠٦]

" النشور: الإحياء، شبّه اليقظة به ليتطابق الإحياء مع الإماتة والتوفي اللذين يتضمنهما النوم، والسبات. " والنهار نشورا" من باب: ليلٌ نائمٌ، ونهار

---

(١٠٣) عبد السلام أحمد الراغب – وظيفة الصورة الفنية في القرآن – فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب – ط١ – ٢٠٠١م – ج١ / ٢١٥، ٢١٦.

(١٠٤) عبد السلام أحمد الراغب – المرجع نفسه – ج١ / ٤٣١.

(١٠٥) وهبة بن مصطفى الزحيلي – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – دار الفكر المعاصر – دمشق – ط٢ – ١٤١٨ه – ج١٨ / ٢٦٢.

(١٠٦) سورة الفرقان: ٤٧.

صائمٌ "[١٠٧]

وفصل الاستعارة باحث معاصر، فقال: " النشور في الحقيقة: الحياة بعد الموت، وهو هاهنا مستعار الاسم لتصرف الحي وانبساطه، تبيها للنوم بالممات، واليقظة بالحياة، وذلك من أوقع التشبيه، وأحسن التمثيل "[١٠٨].

- و ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [١٠٩].

تعددت أقوال العلماء في ذلك، ومجملها على قولين ذكرها الشيخ شاكر في حاشيته على تفسير الطبري[١١٠]:

الرأي الأول: أنه من المجاز العقلي الذي علاقته الزمانية، " أنك تقول: فلان نهارك صائم، وليلك قائم، فتسلم الصيام والقيام إلى الليل والنهار إسنادا مجازيا عقليا، والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام إلى الرجل، لا للزمان، وذلك من باب التوسع المجازي، والعلاقة هنا زمانية، ، والقرينة هنا عقلية، وذلك نظير قوله تعالى " بل مكر الليل والنهار " أصله: بل مكركم بنا في الليل والنهار، ثم أسند الفعل إليهما .

الرأي الثاني: ذكره الفراء في معاني القرآن، حيث قال: " ويجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك قائم، ثم تضيف الفعل لليل والنهار، وهو المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليلك " .

([١٠٧]) ابن عطية – المحرر الوجيز.

([١٠٨]) جعفر شرف الدين – الموسوعة القرآنية، خصائص السور – المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري – دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – ط١ – ١٤٢٠ ه - ج٦ / ١٣٣.

([١٠٩]) سورة سبأ، ٣٣.

([١١٠]) الطبري – جامع البيان – تحقيق شاكر – ج ٢٠ / ٤٠٨.

ويرجح هذا البحث القول الثاني، وبذلك فهو استعارة، حين شبَّه الليلَ والنَّهارَ بالإنسانِ الذي يمكر، ويحتال، ويخادع .

- و ﴿ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ (١١١).

التكوير في اللغة: الصور البيانية لا تتضح إلا بالوقوف على الأصل اللغوي للكلمة، وقد اعتنى العلماء ببيان ذلك، قال الزمخشري: " والتكوير: اللّفُّ، واللَيُّ، يقال: كار العمامةَ على رأسه: كوّرها، وفيه أوجه، منها: أن الليل والنهار خلفة، يذهب هذا ويغشي مكانه هذا، وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه، ولَفَّ عليه كما يلفُّ اللباسُ علي اللابس "(١١٢). و" قال الضحاك: أي: يُلْقِي هذا على هذا، وهذا على هذا، وهذا علي معنى التكوير في اللغة، وهو طَرْحُ الشيء بعضه على بعض، يقال: كَوَّرَ المتاعَ، أي: ألقى بعضه على بعض، ومنه كَوْرُ العمامة "(١١٣) .

وقال أبو السعود عن هذه الصورة البديعة: " يُغْشِي كلَّ واحدٍ منهما الآخر، كأنَّهُ يلفُّ عليه لَفَّ اللباسِ على اللابس، أو يغيبه به ،كما يُغَيّبُ الملفوف باللِّفَافَةِ، أو يجعله كارًّا عليه كرورًا متتابعًا تَتَابع أَكْوَارِ العِمَامةِ، وصيغة المضارع للدلالة على التجدد"(١١٤).

وزاد الصورة بيانا الطاهر بن عاشور، حيث قال: " والتكوير حقيقته: اللفُّ واللَيُّ، يقال: كَوَّر العمامة، إذا لَوَاها ولَفّها، ومُثّلتْ به هيئة غشيان

---

(١١١) سورة الزمر : ٥.

(١١٢) الزمخشري – الكشاف.

(١١٣) القرطبي – الجامع لأحكام القرآن.

(١١٤) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢ه) – تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د ط – د ت – ج٧ / ٢٤٢.

الليل على النهار في جزء من سطح الأرض، وعكسُ ذلك على التعاقب لهيئة كَوْر العمامة، إذ تغشى الليَّةُ الليَّةَ التي قبلها، وهو تمثيل بديعٌ قابلٌ للتجزئة، بأن تُشَبّه الأرض بالرأس، ويُشَبَّهُ تعاور الليلِ والنَّهَار عليها بلَفِّ طَيّاتِ العمامة "[١١٥] .

فاتفقت آراء العلماء أن هذا اللفظ فيه تصوير بياني، حين شبّه إغشاء الليل على النهار، وإغشاء النهار على الليل بتكوير اللباس على رأس اللابس تكوير العمامة، وهو استعارة، وقعت في الفعل(يُكَوِّرُ) .

وتنبهوا إلى أن هذه الصيغة من مبتكرات القرآن، قال الشيخ محمد أبو موسى عن قوله تعالى " يُكَوِّرُ ": " وهي من أبلغ البيان، وظني أنها من مبتكرات القرآن ؛ لأني لم أقع على ما يشبهها في كلام الناس "[١١٦].

- و ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ [١١٧]

نالت هذه الاستعارة العجيبة اهتمام العلماء، وعنايتهم، فتأملوا لطائفها، وبينوا وجه التصوير البياني البديع فيها، قال السَّكَّاكِيُّ شارحا هذه الاستعارة، وأن طرفيها حسيان: " فالمستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل، والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته، فالطرفان حسيان، والجامع هو ما يُعقل من ترتب أحدهما على الآخر"[١١٨]، وبذا فهي من استعارة المحسوس للمحسوس، " فالمستعار له: خروج النهار من ظلمة الليل، والمستعار منه: ظهور المسلوخ من جلدته، فلما كان النهار من شدة الاتصال بالليل كاتصال

([١١٥]) الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير – ج٢٣ / ٣٢٨.

([١١٦]) محمد أبو موسى – الزمر – محمد، وعلاقتهما بآل حم، دراسة في أسرار البيان – ٥١.

([١١٧]) سورة يس ،٣٧.

([١١٨]) السكاكي – مفتاح العلوم – ٤٩٩.

الجلد بالمسلوخ منه لا جرم حَسُنَتْ الاستعارة "[١١٩].

أي أنه " شبّه انقطاع الليل من النهار بمنزلة سَلْخ الأديم عن المسلوخ لشدة التحامه، وصعوبة خروجه .. وهذا التشبيه في غاية المناسبة والملائمة لما هو له"[١٢٠].

وزاد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – الصورة توضيحًا فقال: " فشبَّه النهار بجلد الشاة ونحوها يغطي ما تحته منها، كما يغطي النهار ظلمة الليل في الصباح، وشبَّه كشف النهار وإزالته بسلخ الجلد عن الشاة، فصار الليل بمنزلة جسم الحيوان المسلوخ من جلده، وليس الليل المقصود بالتشبيه، وإنما المقصود تشبيه زوال النهار عنه، فاستتبع ذلك أن الليل يبقى شبه الجسم المسلوخ عن جلده... وقد اعتبر أئمة البلاغة الاستعارة في الآية أصلية تبعية، ولم يجعلوها تمثيلية لما قدمناه من أن المقصود بالتشبيه هو حالة زوال نور النهار عن الأفق، فتخلفها ظلمة الليل"[١٢١]، وهذا ما ذكره البغوي أيضاً في تفسيره للآية، يقول: " معناه نذهب النهار ونجيء بالليل وذلك أن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، فإذا غربت الشمس سُلِخَ النهار من الليل فتظهر الظلمة " [١٢٢].

ولاحظ أن جمال الصورة، وإسباغ بعض أحوال الكائن الحي عليها إنما يتجلى في كلمة (نسلخ) خاصة، وهي استعارة كما سبق بيانه، وفي اللسان:

([١١٩]) يحيى بن حمزة العلوي – المصدر نفسه – ١٩٣.

([١٢٠]) يحيى بن حمزة العلوي – المصدر نفسه – ٢٥٣.

([١٢١]) تفسير التحرير والتنوير – المجلد التاسع – ج٢٣ – ص١٨.

([١٢٢]) أبو محمد، الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ) – تفسير البغوي المسمى، معالم التنزيل – إعداد وتحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار – دار المعرفة – بيروت، ط٤ – ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ج٤ – ص١٢.

"السلخ كشط الإهاب عن ذيه، وشاة سليخ: كُشِط عنها جلدها، ولا يزال كذلك اسمها حتى يُؤكل منها ... والمسلاخ: الجلد، والسِّلخ بالكسر: الجِلد ... وانسلخَ الليل عن النهار خرج منه خروجاً لا يبقى معه شيء من ضوئه "[١٢٣]. وممن نص على أنها استعارة: الزمخشري، حيث قال عن الآية نفسها: "سَلَخَ جلدَ الشاة: إذا كشطه عنها وأزاله، ومنه: سلخ الحية، لخرشائها، فاستعير لإزالة الضوء، وكشفه عن مكان الليل"[١٢٤]. وبذلك يتضح أن النهار صُوِّر في صورة جِلْد كائن حي، وشبَّه زوال ضوئه بسلخ ذلك الجلد. وهذا هو الأمر الآخر الذي ينبغي التنبيه إليه، وإقراره، وهو: أن تركيز البحث على الآية الكريمة: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١٢٥] إنما كان لما فيها من صورة فنية فذة غير مسبوقة، بالغة الإيحاء، ساطعة التأثير، ومع ذلك فإنه يعضدها في ترسيخ تصوير الصبح في صورة الكائن الحي آيات كريمات أُخر، منها هذه الآية التي وضحناها، ومنها كذلك قوله تعالى:

" يطلبه حثيثا "[١٢٦]

- و﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[١٢٧]

هذه الآية الشريفة وصفت إيقاع حركة الشمس والقمر، وما يترتب على ذلك من تعاقب الليل والنهار، " والإدراك اللحاق، والوصول إلى البغية

---

(١٢٣) اللسان – سلخ .

(١٢٤) الكشاف – ج٣ – ص٣٢٢ .

(١٢٥) سورة التكوير: ١٨.

(١٢٦) سورة الأعراف – آية: ٥٤.

(١٢٧) سورة يس، ٤٠.

قال السمعاني: " يتعاقبان بحساب معلوم ... لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل "[١٢٨] .

أي " يتطالبان حال كونهما حثيثان، فلا فترة بينهما، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران ،يتطالبان طلبا حثيثا، فلا يجتمعان إلا في وقت قيام الساعة " [١٢٩].

وختاما أود التذكير بملحوظة بالغة الدقة، عميقة النظر، شديدة النفاسة، نبّه إليها شيخنا محمد أبو موسى في تفسيره لسورة الزمر، حين شرح قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [١٣٠]. حين قال إنها من أبلغ البيان، وإنها من مبتكرات القرآن[١٣١]لم يكتف بذلك، بل امتدت بصيرته النقدية إلى صيغتي: (يُولِجُ)، و (يُغْشِي)، فقال بعد أن شرح ما في هذه الكلمات من عزٍّ الربوبية، وأنه لا يقولها إلا الخالق عَزَّ وجلَّ، ثم قال: " ولا تجد كلمة تدل على ذلك إلا هذه الكلمات الثلاث: يُكَوِّرُ، وَيُولِجُ، وَيُغْشِي، وأكرر أن هذا لا يكون إلا في كلام الذي خَلَقَ ... وهذا يعني أن هذه الكلمات تقع في العزيز النادر، وإنما جاءت هنا لتكشف معنى لا يقع في نفوس أهل البيان " [١٣٢] وقوله عن تلك الكلمات الثلاث أنها: " تكشف معنى لا يقع في نفوس أهل البيان " كلمة عميقة، بعيدة الغور، تدلك على

([١٢٨]) السمعاني – تفسير السمعاني –ج٤ / ٣٧٩.

([١٢٩]) القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٢٣ ه) – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – المطبعة الكبرى الأميرية – مصر – ط٧ – ج٧ / ٣١٢.

([١٣٠]) سورة الزمر: ٥.

([١٣١]) محمد أبو موسى – الزمر، ومحمد وعلاقتهما بآل حم، دراسة في أسرار البيان – ٥١.

([١٣٢]) محمد أبو موسى – المرجع نفسه – ٥٢.

منهج بالغ النفع في تدبر كتاب الله العزيز، ألا وهو: التفتيش عن الكلمات التي هي من مبتكرات القرآن، والتي لم تقع في كلام أهل البيان، وهذا وجه من وجوه الإعجاز القرآني .

النوع الثاني : مجيء أحد أجزاء النهار ، أو مرادفاته، كلفظ (اليوم) في القرآن الكريم :

أتى لفظ (يوم) في القرآن الكريم مرادفا لكلمة (نهار)، واليوم في اللغة: "مقداره من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس "[١٣٣] وهو مفرد مذكر، يجمع على أيام، " والعرب قد تطلق اليوم وتريد به الوقت والحين ، نهارًا كان أو ليلا[١٣٤] وبتتبع مفردة (يوم) في القرآن الكريم، اتضح أنها لم يرد فيها أي تصوير بياني، مع أنها تكررت في القرآن كثيرا .

فإذا انتقلنا للبحث في أجزاء النهار في القرآن الكريم، سنجد أنها قد تعددت، وتنوعت، وكان أكثرها حضورا ما يخص طرفي النهار، أي: أوله، وآخره، وقد تتبع أحد الباحثين أجزاء النهار في القرآن الكريم[١٣٥]، وبذل جهدا مشكورا في تقصيها، وما نقص عنده منها إلا لفظين دالين على جزء من النهار، هما :(قبل طلوع الشمس)، ولفظ (العَشِي) .

و الألفاظ الدالة على أجزاء من النهار مرتبة من أول النهار إلى آخره ، كما وردت في كتاب الله العزيز، بعد إضافة ما فات الباحث الكريم، كما يلي:

- ألفاظ أول النهار: وهي (الفجر، والإصباح، والصبح، والإسفار، والغدو، والإبكار ،و قبل طلوع الشمس، والشروق، والضحى)

---

(١٣٣) لسان العرب – يوم.

(١٣٤) القاموس المحيط.

(١٣٥) عبد الله الخضيري – النهار في القرآن الكريم – ١٧ وما بعدها.

- ألفاظ وسط النهار: هي (تظهرون).
- ألفاظ آخر النهار: هي: (العشي، و العصر، والرّواح، والأصيل، وقبل الغروب، والشفق)

والسؤال هنا: في أيٍّ منْ تلك الألفاظ جاء التصوير البياني ؟ والجواب أنه لم يرد في أي منها تصوير بياني، إلا في مفردة (الصبح، والإصباح)، و (الفلق)، و(الفجر)، وكلها دالةٌ على زمن ابلاج الصبح، أما بقية الألفاظ التي تدل على سائر أجزاء النهار فقد خلتْ كلها من التصوير البياني .

ويرجح البحث أن مجيء التصوير البياني في هذا الجزء من النهار خاصة، وهو(الصبح)، دون سواه من أجزاء النهار، إنما هو دلالة على مزيدِ فضلٍ، وحثّ على النظر والتأمل، واستشعار آيات الله فيه، و فيه إيماءٌ إلى بعث التفاؤل في نفس المؤمن، فالنور يأتي بعد حُلْكة الظلام، فيكشف غمَّته وسواده، وكذلك الحق يظهر على الظلام مهما تراكمت دَيَاجيره، والفَرَج يأتي بعد الغم والهم، فينكشف عن نفس المؤمن، وتشرق حياته بأنوار السعادة والخير والبركات .

ومواطن ذلك في قوله تعالى: " الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " وقوله سبحانه: " فالق الإصباح " ، وقوله عز وجل: " والصبح إذا تنفس "، وقوله سبحانه: " قل أعوذ برب الفلق " فهذه أربع صور بيانية كلها عن أول النهار ، وهو انبلاج الصبح .

واختصاص هذا الوقت من النهار بهذا القدر المعتبر من التصوير البياني دلالة على تميزه، وتقدمه، وأنه جدير بالتدبر، والتأمل، واستحضار عظمة الخالق له، الذي جعل النور بعد الظلام .

المبحث الثاني – التصوير البياني للصُّبْحِ في القرآن الكريم:

لقد أبدع الخالق عز وجل آيات كونية باهرة توقظ الحس، وتدعو للتفكير في قدرته عز وجل، ومن آياته الجليلة ما يُسمى بـ (الآثار العلوية) كالشمس والقمر والرياح والمطر، والسحاب، وكذلك الليل والنهار وتعاقبهما السرمدي، ظلام فنور، ثم ظلام فنور متلاحق متتابع إلى أن يشاء الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١٣٦) فبعد الليل المطبق على الكون بظلماته وسواده، ترى أنوار الفجر تنبثق في أفق السماء شيئًا فشيئًا تجلو سواد الليل، وتطرد كتائب الظلام، وتؤذن بمولد يوم جديد، وأمل جديد، فما أعجب إسفار الصبح خاصة، ولذا دعانا الله عز وجل إلى التفكير فيه، في مواطن عديدة من كتابه العزيز، قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (١٣٧).

وقال عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٣٨).

وفي مواطن أخرى أقسم عز وجل بالصبح، فقال سبحانه: ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (١٣٩). وقال عز وجل: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ (١٤٠). وقال عز من قائل:

---

(١٣٦) سورة آل عمران – آية: ١٩٠ .
(١٣٧) سورة الحج – آية: ٦١
(١٣٨) سورة لقمان – الآية: ٢٩ .
(١٣٩) سورة التكوير – الآية: ١٨ .

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ (١٤١). وقال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (١٤٢)، "والمعروف في أقسام القرآن أن تكون بالأشياء العظيمة الدلالة على قدرة الله تعالى أو الأشياء المباركة"(١٤٣).

وحين نقارن بين مواطن ذكر انبلاج الصبح، ومواطن ذكر الغروب في القرآن الكريم يتبين لنا أن ذكر انبلاج الصبح في القرآن أكثر حضورا من ذكر الغروب ونزول الليل، وما ذلك إلا دلالة ظاهرة على تميز انبلاج الصبح .

ولا يتنافى ذلك من أن ذكر الليل قد تقدم في القرآن على ذكر النهار في أكثر من خمسين موضعا، واقتصر تقدم ذكر النهار على الليل في أربعة مواضع فحسب(١٤٤)، وسبب ذلك أن الليل يكون قبل النهار، و" أن الظلمة عدم، والنور وجود، والعدم مقدم على الوجود "(١٤٥) .

وسورة (الفلق) أنصع مثال على ذلك، قال عز وجل: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ (١٤٦).

---

(١٤٠) سورة الفجر – الآية: ١ .

(١٤١) سورة الشمس – آية: ٣ .

(١٤٢) سورة الليل – آية: ٢ .

(١٤٣) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – د.ط، د.ت، المجلد الثاني عشر – ج٣٠ – ١٥٤.

(١٤٤) علي علي صبح – التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية – المكتبة الزهرية للتراث – د ط – د ت – ١٢٢.

(١٤٥) محمد أبو موسى – آل حم غافر، وفصلت، دراسة في أسرار البيان – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٩م – ٢٢٢.

(١٤٦) سورة العلق – آية: ١، ٢، ٣.

وقد استعرض الطبري الأقوال في تفسير معنى الفلق، ثم قال: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر نبيه محمد ﷺ أن يقول: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾[١٤٧] والفلق في كلام العرب: فلق الصبح، تقول العرب: هو أبين من فلق الصبح، ومن فَرَق الصبح"[١٤٨]، وكذلك ذكر الفخر الرازي أن تفسير الفلق بالصبح: "هو قول الأكثرين"، قال الزجاج: "لأن الليل يفلق عنه الصبح ويفرق " [١٤٩]، وكذلك ذكر القرطبي :" قال جابر بن عبد الله، والحسن، وسعيد بن جبير أيضاً، ومجاهد، وقتادة، والقرطبي، وابن زيد: الفلق: الصبح، وقال ابن عباس، تقول العرب: هو أبين من فلق الصبح وفَرق الصبح " [١٥٠].

وقوله عز وجل: " ومن شر غاسق إذا وقب " أي: "ومن شر مظلم إذا دخل وهجم علينا بظلامه"[١٥١]، وذكر القرطبي قول ابن عباس، والضحاك، وقتادة، والسُّدي وغيرهم أن الغاسق أول ظلمة الليل، ووقب على هذا

([١٤٧]) سورة الفلق : ١ .

([١٤٨]) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون – دار السلام للطباعة والنشر – القاهرة – ط٤ – ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م – المجلد العاشر – ص٨٨٣٩.

([١٤٩]) محمد بن عمر الرازي (ت: ٦٠٤) – تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – د.ط- ١٩٩٣م – ١٤١٤هـ – المجلد ١٦ – ج٣٢ – ص١٩١ .

([١٥٠]) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت:٦٧١هـ) – الجامع لأحكام القرآن – مراجعة: صدقي محمد جميل – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت، د.ط، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – المجلد العاشر – ج٢٠ – ص٢٢٨.

([١٥١]) الطبري – المصدر السابق – المجلد العاشر – ص٨٨٣٩.

التفسير: (أظلم) قال ابن عباس والضحاك: دخل، وقيل: نزل "[١٥٢].

فما وجه تخصيص (الفلق) بالتعوذ ؟ قال الفخر الرازي: "وتخصيصه في التعوذ لوجوه :

الأولى: أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أن يدفع عن العائذ كل ما يخفاه ويخشاه. الثاني: أن طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفَرَج، فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظرًا لطلوع الصبح كذلك الخائف يكون مترقبًا لطلوع صباح النجاح. الثالث: أن الصبح كالبشرى، فإن الإنسان في الظلام يكون كلحم على وَضَم، فإذا ظهر الصبح فكأنه صاح بالأمان وبُشِّرَ بالفَرَح، فلهذا السبب يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت السحر "[١٥٣]. وهذا الذي ذُكِرَ لا يتعارض مع ما يذهب إليه العرب من أن الليل قبل النهار: "وإنما كان عندهم كذلك لأن الظلمة الأولى، والضياء داخل فيه ... فهو أقدم ميلادًا (أي الظلام) وأسبق أوانًا... ولذا قدمه الله تعالى في رتبة الذكر، ورتبة الوصف، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ ﴾ [١٥٤] .فرتبة الذكر ظاهرة من التلاوة كما نرى، ورتبة الوصف أن السكن واللباس مقدمان على السبح والمعاش .. وقال تعالى عند الإقسام بالزمان: ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ ﴾ [١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾

---

(١٥٢) القرطبي – المصدر السابق – المجلد العاشر – ج٢٠ – ص٢٢٩.

(١٥٣) مفاتيح الغيب – المجلد ١٦ – ج٣٢ – ص١٩١.

(١٥٤) سورة النبأ – آية: ١٠، ١١ .

(١٥٥) سورة الليل – آية: ١، ٢ .

(١٥٦). فلا موضع أُجرى ذكرهما إلا والليل مقدَّم... كل ذلك لأنه (أي الليل) الأول المقدَّم، والأصل الموصل، والأوان الممهد للراحة "(١٥٧).

ونبَّه المؤلف – رحمه الله – إلى أن إقرار هذه الحقيقة الكونية في أصل الخلق ليس المراد بها تفضيل الليل على النهار، وإنما التنبيه على سبقه، وعلى إصابة العرب في تقديمه يقول: " وليس القصد تفضيل الليل على النهار، وإنما المراد التنبيه على سبقه، وعلى إصابة العرب في تقديمه، وقد تكلمنا في تصحيح طريقة العرب فيما قدَّمناه من الآي، التي شرحناها عند قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ (١٥٨)، وما يقتضيه لفظ السلخ بكلام بيِّن "(١٥٩)، فإذا عدنا لكلامه عن هذه الآية وجدناه يقول: ﴿ نَسۡلَخُ ﴾ أي نخرجه منه إخراجًا لا يبقى منه شيء من ضوء النهار ... وفي هذا دلالة بيِّنة على ما تذهب إليه العرب من أن الليل قبل النهار؛ لأن السلخ والكشف بمعنى واحد، يبين ذلك أن يقال: كشطتُ الإِهَابَ، والجِلْد عن الشيء، وسلختُه، أي: كشفته، والسَّلاخ: الإهاب نفسه.. وإذا كان ذلك وكان الله تعالى قال: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾ (١٦٠)، والمسلوخ منه يكون قبل المسلوخ،

---

(١٥٦) سورة الإسراء – آية: ١٢ .

(١٥٧) أبو علي، أحمد بن محمد المرزوقي الأصبهاني (ت:٤٢١) – الأزمنة والأمكنة – ضبطه وخرّج آياته: خليل المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م – ص١٢٢.

(١٥٨) سورة يس – آية: ٣٧ .

(١٥٩) المصدر السابق – ١٢٣.

(١٦٠) سورة يس – آية: ٣٧.

فيجب أن يكون الليل قبل النهار "[١٦١].

وقد اختص زمن الإصباح دون بقية أجزاء النهار بمجيء التصوير البياني له في أربعة مواضع من كتاب الله العزيز ،ثلاثة مواضع منها كانت استعارة، وموضع واحد كان تشبيهًا، و هي :

- تشبيه نور الفجر بالخيط الأبيض ، وظلام الليل بالخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [١٦٢]
- الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [١٦٣]

" الفلق: شَقٌّ، وصدع بعض أجزاء الشيء عن بعض... وفلق الإصباح استعارة لظهور الضياء في ظلمة الليل، فشبّه ذلك بفلق الظلمة عن الضياء " [١٦٤]ثم زاد الأمر بيانا، وأن (فلق) بمعنى مفلوق، حيث قال: " سموا الصبح فَلَقًا بفتحتين، بزنة ما بمعنى المفعول، كما قالوا: مسكن، أي: مسكون فيه ... ليس الإصباح مفعول الفلق، والمعنى فالق عن الإصباح، فيعلم أن المفلوق هو الليل، ولذلك فسروه: فالق ظلمة الإصباح" [١٦٥]

- الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [١٦٦]

([١٦١]) المصدر نفسه – ٢١ .

([١٦٢]) سورة البقرة: ١٨٧.

([١٦٣]) سورة الأنعام : ٩٦.

([١٦٤])الطاهر بن عاشور – التحرير التنوير – ج٧ / ٣٩٠ .

([١٦٥]) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج٧ / ٣٩٠.

([١٦٦]) سورة الفلق: ١.

و هنا أيضا استعارة، قد بيّن الشيخ الطاهر بن عاشور الصورة البيانية فيها، فقال: " الفَلَق: الصبح ... لأن الليل شُبّه بشيء مغلق ينفلق عنه الصبح، وحقيقة الفلْق: الانشقاق عن باطن الشيء، واستعير لظهور الصبح بعد ظلمة الليل "[١٦٧] .

- الاستعارة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [١٦٨] .

ولعل أرفع هذه الصور البيانية قوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ، وكلها رفيع وجليل، ولكن تميزت هذه الصورة بأنها لم تقع في كلام أهل البيان قبل نزول القرآن، أما تشبيه نور الفجر بالخيط، وانشقاق عمود الصبح، فقد أتيا في شعر الجاهليين[١٦٩] ، وإن كان البيان القرآني قد فاقهم بذكر فالق الإصباح .

ولذا سيقف البحث عن آية: " والصبح إذا تنفس " وقفة خاصة .

﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١٧٠] في كتب التفسير :

هذه الآية الكريمة أتت فيها استعارة مما لا يكون على لسان بشر، وقد تتبعت في بحث سابق أشعار الجاهليين بحثا عما يقارب هذه الصورة أو يشابهها في وجه من الوجوه، فلم أقف على شيء من ذلك [١٧١]، ولذا أولاها العلماء عناية بالغة .

([١٦٧]) الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج٣٠ / ٦٢٦.

([١٦٨]) سورة التكوير، ١٨.

([١٦٩]) انظر بتوسع عن ذلك: مريم عبد الهادي القحطاني – صورة الصبح في الشعر الجاهلي – بحث منشور في مجلة جامعة سامراء – العراق – المجلد ١٧ – ع ٦٦ – السنة ١٦ – ٢٠٢١م.

([١٧٠]) سورة التكوير: ١٨.

([١٧١]) انظر: صورة الصبح في الشعر الجاهلي.

وحظيت الآية القرآنية الكريمة بعناية علماء التفسير، من جانب معنى الآية، ومن جانب علاقة معناها بالسياق الذي وقعت فيه، خاصة علاقتها بمعنى الآية قبلها: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[١٧٢] ، وكذلك بالقسم في قوله عز وجل: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴾[١٧٣]. فمن حيث علاقتها بالآية قبلها:

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ قال بعضهم: إذا أقبلت ظلماؤه، وقال بعضهم: إذا ولّى، ألاَّ تراه قال: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ قال عَلْقَمَةُ بن قُرْط:

حَتَّى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسَا

وَانْجَابَ عنها لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا " [١٧٤].

وقال الطبري: "القول في تأويل قوله: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ اختلف أهل التأويل في: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [١٧٥] وذكر لهم قولين، الأول: ﴿

([١٧٢]) سورة التكوير : ١٧.

([١٧٣]) سورة التكوير: ١٥.

([١٧٤]) أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي (ت:٢١٠هـ) – مجاز القرآن – عارضه بأصوله وعلَّقَ عليه: محمد فؤاد سزكين – مكتبة الخانجي – القاهرة – د.ط – د.ت – ج٢ / ص٢٨٧–٢٨٨. ومما تجدر الإشارة إليه أن البيت الشعري المذكور في النص " حَتَّى إذا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسَا " ورد عند أبي عبيدة منسوبًا لعلقمة بن قرط، وورد منسوبًا إلى علقمة أيضاً عند الطبري في: (جامع البيان – المجلد العاشر – ص٨٥٠٤)، وكذلك نسبه إلى علقمة : القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن – المجلد العاشر – ج ١٩ – ص٢٠٤)، أما الرازي في مفاتيح الغيب – المجلد ١٦ – ج٣١ – ص٧٣، فقد أورد البيت منسوبًا إلى العَجَاج.

([١٧٥]) جامع البيان – المجلد العاشر – ص٨٥٠٢، وما بعدها.

﴿ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أي: إذا أدبر، والقول الثاني: ﴿ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ أي: إذا أقبل بظلامه، ثم قال: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: إذا أدبر، وذلك لقوله: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ فدلَّ بذلك على أن القَسَم بالليل مدبرًا وبالنهار مقبلًا، والعرب تقول: (عسعس الليل، وسعسع الليل)إذا أدبر، ولم يبق منه إلا اليسير، ومن ذلك قول رؤبة بن العَجاج:

يا هِنْدُ مَا أَسْرَعَ مَا تَسَعْسَعَا

وَلَوْ رَجَا تَبْعَ الصّبا تَتَّبَعَا

فهذه لغة من قال:(سَعْسَعَ)، وأما لغة من قال:(عَسْعَسَ) فقول عَلْقَمَة بن قُرْطٍ:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسَا

وَانْجَابَ عَنها لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا

يعني: أدبر، وقوله:" والصبح إذا تنفس" يقول: وضوء النهار إذا أقبل وتبيَّن(١٧٦).

وفي تفسير ابن أبي حاتم قال:" ومن طرق عن ابن عباس في قوله: " والليل إذا عسعس " قال: إذا أدبر، " والصبح إذا تنفس " قال: إذا بدأ النهار حين طلوع الفجر"(١٧٧).

---

(١٧٦) الطبري – المصدر نفسه – الصفحة نفسها.

(١٧٧) ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت: ٣٢٧هـ) – تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسامة محمد الطيب – المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة – مكتبة الباز – ط٣ – ١٤٢٤هـ – الجزء ١٠ – ٣٤٠٥.

كذلك قال الفخر الرازي (ت:٦٠٤هـ): ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [١٧٨] ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد، يقال: عسعس الليل إذا اقبل، وعسعس إذا أدبر، وأنشدوا في ورودها بمعنى (أدبر) قول العَجَّاج:

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لها تَنَفَّسَا

وَانْجَابَ عَنْها لَيْلُهَا وَعَسْعَسَا " [١٧٩]

وفي لسان العرب: " وفي التنزيل: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [١٨٠] قيل: هو إقباله، وقيل هو إدباره، قال الفَرَّاءُ: أجمع المفسرون على أن معنى عسعس: أدبر..." [١٨١] .

وكان أبو حاتم وقطرب يذهبان إلى أن هذا الحرف من الأضداد .. وكان أبو عبيدة يقول: (عَسْعَسَ الليلُ) إذا أقبل، و (عَسْعَسَ) أدبر .

وقال الزِّبْرِقَانُ:

وَرَدْتُ بأَفْرَاسٍ عِتَاقٍ وفتيةٍ فَوَارِطَ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ مُعَسْعِسِ

أي: مدبر مُوَلٍّ " [١٨٢].

في ضوء ما سبق يرجح البحث أن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾ [١٨٣] قَسَمٌ بذلك الوقت الذي تبدأ فيها ظلمات الليل بالإدبار والانحسار، ثم

([١٧٨]) سورة التكوير : ١٧.

([١٧٩]) مفاتيح الغيب – المجلد ١٦ – ج٣١ – ص٧٣.

([١٨٠]) سورة التكوير : ١٧.

([١٨١]) لسان العرب – عسس.

([١٨٢]) لسان العرب – عسعس.

([١٨٣]) سورة التكوير : ١٧.

اتبعه بقسم آخر ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[١٨٤]وهو الوقت الذي تبدأ فيه تباشير نور الفجر بالظهور والانتشار، فهو مشهد سماوي مهيب، حين يتأمل الإنسان أفق السماء فيرى الظلام يولي هاربًا يجرُّ رداءه الأسود في الأفق الغربي، ويرى النور يشرق على الكون شيئًا فشيئًا من الأفق الشرقي، وفي قبة السماء ترى جحافل النور تطرد فلول الليل، إنها لحظات مؤذنة بميلاد فجر يوم قادم.

فهذا عن علاقة الآية الكريمة بالآية قبلها، أما عن تفسير الآية نفسها فقد قال الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى تنفس الصبح ؟ قلت: إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نَفَسًا له على المجاز، وقيل: تنفس الصبح" [١٨٥]، وجاء الفخر الرازي ببيان أكثر للآية حيث قال: " وأما قوله تعالى:" إذا تنفس "أي: إذا أسفر ... ثم في كيفية المجاز قولان: أحدهما: أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسًا له على المجاز، وقيل: تنفس الصبح، والثاني: أنه شبَّه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفس وجد راحة، فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن، فعبر عنه بالتنفس، وهو استعارة لطيفة"[١٨٦].

وقال القرطبي – رحمه الله – ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [١٨٧] ،أي: امتد حتى يصير نهارًا واضحًا، يقال للنهار إذا زاد: تنفس، وكذلك الموج إذا

([١٨٤]) سورة التكوير: ١٨.

([١٨٥]) الزمخشري – الكشاف – ج٤ – ص٢٢٤.

([١٨٦]) مفاتيح الغيب – المجلد ١٦ – ج٣١ – ص٧٣.

([١٨٧]) سورة التكوير: ١٨.

نضح الماء، ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف، وقيل: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ إذا انشق وانفلق، ومنها تنفَّستِ القوسُ ، إذا تصدَّعَتْ"(١٨٨).

وقال الشوكاني: "التنفُّس في الأصل خروج النسيم من الجوف، وتنفُّس الصبح إقباله بروح ونسيم، فجعل ذلك تنفسًا له مجازًا ، قال الواحدي: (تنفَّس) أي امتد ضوؤه حتى يصير نهارًا " (١٨٩).

ولا أدل على روعة الاستعارة في آية الصبح وجلالها وتفردها من قول ابن أبي الأصبع: "ولم يسمع سامع في الاستعارة كقوله تعالى: ﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ فإن ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلًا قليلًا بينه وبين إخراج النفس مشابهة شديدة"(١٩٠)، فإذا كان هذا قول عالم في القرن السابع الهجري فما بالك بمن كان في عصر نزول القرآن من أهل الفصاحة والبيان العالي، مما لا مثيل لهما في العصور التالية، ولا شك أن العربي الجاهلي المتذوق لطبقات البيان، المدرك لأسراره حين سمع تلك الآية الكريمة فإنه قد تذوقها، واستشعر روعتها وإعجازها، ثم أثَّرتْ أعمق الأثر في نفسه، وفي أدبه فيما تلا من أزمنة.

قولٌ لابد منه قبل الختام:

مضت صفحات البحث على أن ما ورد في تلك الآيات السالفة من باب التصوير البياني، وقد جاءت كل تلك الصور البيانية من باب المجاز، وخاصة

---

(١٨٨) الجامع لأحكام القرآن – المجلد العاشر – ج١٩ – ص٢٠٥.

(١٨٩) الشوكاني، – فتح القدير – ج٥ – ص٥١٢.

(١٩٠) ابن أبي الأصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ) – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م – ص٩٩.

الاستعارة، إلا صورة واحدة كانت من التشبيه، وهو حقيقة .

وهذا يوجهنا لاحتمال لابد من التنبه له، وهو أن يكون كل ما مضى من وصف النهار عامة، والصبح خاصة قد جاء على الحقيقة، لا على المجاز .

وقد ناقش الزركشي ما يقارب هذه المسألة، وهو: خطاب الجمادات خطاب مَنْ يعقل في القران الكريم، حيث قال عن آية: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (١٩١): " وقد اختلف أن هذه المقالة حقيقة، بأن جعل لها حياة وإدراكًا يقتضي نطقها، أو مجازًا، بمعنى ظهر فيها من اختيار الطاعة والخضوع بمنزلة هذا القول، على قولين: قال ابن عطية: والأول أحسن ؛ لأنه لا شيء يدفعه، والعبرة فيه أتم، والقدرة فيه أظهر، ومنه قوله تعالي: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ (١٩٢).
فأَمرَهَا كما تُؤمر الواحدة المخاطبة المؤنثة "(١٩٣) .

قال الشيخ ابن عثيمين في تعداد فوائد قوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾: " الفائدة الرابعة: توجيه الخطاب إلى الجماد من الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾ ، الفائدة الخامسة: أنَّ الجماد يحسُّ بخطاب الله سبحانه وتعالى، ووجه ذلك: لولا أنه يحس لكان توجيه الخطاب إليه عبثًا، والله سبحانه وتعالى منزهٌ عن العبث في أقواله وأفعاله،

---

(١٩١) سورة فصلت: ١١.
(١٩٢) سورة سبأ: ١٠.
(١٩٣) الزركشي – البرهان – المجلد الثاني – ٢٦٣.

ويدل على أنه يحس بذلك أنها أوَّبتْ معه ورجَّعتْ "[١٩٤].

وناقشها الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – في موضع آخر ، حيث قال تعليقا على حديث: " فأولُ ما خلق الله القلمَ، قال له: اكتب "[١٩٥].

قال: " فكيف يوجّه الخطاب إلى الجماد ؟ والجواب عن ذلك: أنَّ الجماد بالنسبة إلى الله عاقلٌ، يصحّ أن يوجّه إليه الخطاب [١٩٦]. واستوقفت المسألة ذاتها الشيخ محمد أبو موسى ، فقال: " ما دمنا قبلنا أن الله خلق السموات والأرض، وقال لهما ائتيا طوعا أو كرها، فقالتا: أتينا طائعين، فلابد أن نقبل أنه قال ذلك على الحقيقة، وقالت له على وجه الحقيقة، وحَمْلُ خطاب الخالق على خطاب الخلق – أقول – ليس هذا بواجب ؛ لأن أمر الله في خلقه يتجاوز حدود المألوف ؛ لأن الخالق نفسه متجاوز حدود المألوف"[١٩٧].

وقد يقول قائلٌ أن هذا في الجمادات لأنها ذوات، أما الليل والنهار فهما من أعراض الذوات، وقد فرّق العلماء بينهما، وأظهر ما ورد عن ذلك كان في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ

([١٩٤]) ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١ه) – تفسير القرآن الكريم – مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤٣٦ه – ٩٣، ٩٤

([١٩٥]) رواه أحمد ٥/ ٣١٧، وأبو داود ٤٧٠٠، والترمذي ٢١٥٥، والحاكم ٢/ ٤٩٨، وصححه البيهقي في الأسماء والصفات ٨٠٤.

([١٩٦]) . محمد بن صالح العثيمين – شرح العقيدة الواسطية – خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل – دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – ط٦ – ١٤٢١ ه – ج٢ / ١٩٩

([١٩٧]) محمد أبو موسى – شرح أحاديث من صحيح مسلم – ج٢ / ٦٦٤، ٦٦٥.

ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾[١٩٨] قال الطَّاهر بن عاشور: " ففعل (خَلَقَ) أليق بإيجاد الذوات، وفعل (جَعَلَ) أليق بأعراض الذوات، وأحوالها، ونظامها "[١٩٩] وجمهور المفسرين على أن المراد بالظلمات والنور: سواد الليل، وبياض النهار[٢٠٠]، " عن السّدّي قال: الظلمات ظلمة الليل، والنور نور النهار "[٢٠١] ، وهذا احتمال وارد، ولكن الرأي الآخر يظل له وجاهته واعتباره، والله أعلم بمراده سبحانه .

الخاتمة، ونتائج البحث :

الحمد لله الذي جعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والصلاة والسلام على المبعوث بالنور التام، نبي الهدى، وخير الأنام، وبعد .

فقد اجتهد البحث في بيان أنواع التصوير البياني للنهار في القرآن الكريم، وبيّن ما يسّر الله له من جلاء جماليات ذلك التصوير البياني ؛ لما في آية النهار العظيمة من الفضل، والدلالة على الخلّاق العليم الذي قال: " وله اختلاف الليل والنهار "، وقد توصل البحث إلى طائفة من النتائج، هي:

- مجموع ما جاء في القرآن من الصور البيانية عن النهار أو قسم منه: خمس وعشرون صورة بيانية، اثنتان وعشرون منها للنهار عامة، وأربع صور بيانية منها للصبح خاصة، وفي ذلك دلالة ظاهرة على خصوصية انبلاج الصبح دون باقي أقسام النهار، حيث اختص بتلك الصور الأربع، ثم إن قوله عز وجل " والصبح إذا تنفس " من الصور التي بلغت غاية الإبداع والإدهاش، ولذا قال عنها ابن أبي الإصبع : "

---

(١٩٨) سورة الأنعام: ١.

(١٩٩)الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – ج٧ / ١٢٧ .

(٢٠٠) القرطبي – الجامع – ج٦ / ٣٨٦.

(٢٠١) الطبري – جامع البيان – ج٩ / ١٤٤.

ولم يسمع سامع في الاستعارة كقوله تعالى : " والصبح إذا تَنَفَّسَ " وهذا يجعلها جديرة بالتأمل، والنظر ، والتدبر .

- العديد من الصور البيانية للنهار عامة، وللصبح خاصة أبرزت عنصر الحركة، واعتنت به، وقد تنبه البلاغيون إلى أن من مات الشاعر الفذّ: القدرة على تصوير الحركات في الموصوف ؛ و " وصف الحركة من أصعب أبواب الوصف ؛ لأن تصويرها بالكلمات حتى تكون فيها كما تراها العين، تجول، وتضطرب، عملٌ لا ينهض به إلا ذوو المواهب الفذة "[٢٠٢]. فإذا كان هذا الشأن في كلام البشر، فكيف تكون الصور البيانية التي تركز على حركة الموصوف في كلام الله سبحانه، كما بدا جليا في التصوير البياني للنهار، وللصبح في القرآن الكريم .
- كل صور النهار البيانية التي بلغت خمسا وعشرين صورة بيانية، كانت استعارات، ست عشرة استعارة منها كان المشبه به كائنا حيا، وهو إنسان في كل تلك الاستعارات، وهي:

وجه النهار، اختلاف النهار، وخلفة، النهار مبصرا، وآية النهار مبصرة، ويطلبه حثيثا، ومكر الليل والنهار، و النهار نشورا، الليل سابق النهار)، إلا واحدة (نسلخ)، وتسع استعارات منها كان المشبه به من الجمادات، وهي: (يولج، وتولج، ويغشي، ويقلب، ويكور) .

- اختص (الصبح) دون بقية أجزاء النهار بمجيء التصوير البياني عنه في أربعة مواضع من كتاب الله العزيز، ثلاثة منها كان تشبيها له بجمادات: (فالق، الفلق، الخيط الأبيض)، وواحدة كان تشبيها له بالإنسان : (تنفّس)، هذه الخصوصية في وصف انبلاج الصبح يرجح البحث أنها

([٢٠٢]) محمد أبو موسى – التصوير البياني – ١٤١.

تدل علي مزيد فضل لهذا الوقت دون سواه من أجزاء النهار .

- اجتهد البحث في بيان التصوير البياني للنهار عامة، ولانبلاج الصبح خاصة في القرآن الكريم، وترجّح أن كل تلك الصور البيانية كانت من الاستعارات، إلا صورة بيانية واحدة جاءت من التشبيه، وهي تشبيه نور الفجر بالخيط الأبيض، والاستعارة من أنواع المجاز، ومع ذلك لا يجوز القطع بكونها من المجاز، وإنما يمكن أن يكون كل ذلك على الحقيقة، كما ذهب إلى هذا القول بنفي المجاز عن القرآن طائفة من علماء الإسلام، والله أعلم بمراده عز وجل .

ومن أهم توصيات البحث:

- دعوة الباحثين في القرآن الكريم إلى إجراء دراسة عن التصوير البياني لليل في القرآن الكريم .
- تتبع بقية الآثار العلوية الواردة في القرآن الكريم، وتدبر خصوصيات البيان الإلهي في وصفها، مثل: الشمس، والقمر، والسحاب، والمطر، ومن ثم تتبع الآثار السفلية، كالجبال، والنبات، والبحار، وما في القرآن من أساليب متفردة في وصفها .
- يوصي البحث بدراسة العلاقات النصية بين كل تصوير بياني للنهار ، أو للصبح ، والسورة التي جاءت فيها الصورة ، وعلاقة السياق بذلك التشكيل الفني البلاغي .
- أن تكون هناك دراسات نقدية تبحث التصوير البياني لهذه الظواهر في الشعر الجاهلي، ومن ثم يُؤسس النظر في القرآن الكريم على وعي مسبق بسَنَن العرب وطرائقها في كلامها عن تلك الظواهر، وكيف صار ذلك الوصف في كلام العرب بليغا، وفي كلام الله معجزا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن أبي الأصبع المصري (ت٦٥٤هـ) – تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن – تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف – المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية – القاهرة – د ط – ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٢- الأصبهاني، أحمد بن محمد المرزوقي (ت ٤٢١هـ) – الأزمنة والأمكنة – ضبطه وخرّج آياته: خليل المنصور – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣- البغوي ، أبو محمد، الحسين بن مسعود (ت ٥١٠ ه) – تفسير البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن – حققه، وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط٤ – ١٩٩٧م

٤- التفتازاني، سعد الدين، مسعود بن عمر التَّفْتَازَانِيّ (ت ٧٩٢ ه) – المُطَوَّل، شرح تلخيص مفتاح العلوم – تحقيق: عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط ٢ – ٢٠٠٧م

٥- الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩ ه) – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب – دار المعارف – القاهرة – د ط – د ت

٦- الجاحظ ، أبو عثمان، عمرو بن بحر الكناني (ت ٢٥٥ه) – الحيوان – تحقيق: عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت – ط د ط – ١٤١٢ه

٧- جعفر شرف الدين – الموسوعة القرآنية، خصائص السور – المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري – دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت – ط١ – ١٤٢٠ ه

٨- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت٣٢٧هـ) – تفسير القرآن العظيم- تحقيق: أسامة محمد الطيب – المملكة العربية السعودية – مكة المكرمة – مكتبة الباز – ط٣ – ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٩- الخطيب القزويني، – الإيضاح في علوم البلاغة –راجعه، وصححه، وخرّج آياته: بهيج غزاوي – دار إحياء العلوم – بيروت – ط٢ – ١٩٩٢م

١٠- الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٤هـ) – تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب – بإشراف هيئة البحوث في دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – د ط – ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١١- ابن رشيق القيرواني – العمدة في محاسن الشعر ونقده – دار الجيل – بيروت – ط٥ – ١٤٠١ه

١٢- الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ ه) – البرهان في علوم القرآن – خرّج حديثه، وقدّم له، وعلّق عليه: مصطفي عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – د ط – ٢٠٠١م

١٣- الزمخشري، أبو القاسم، دار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) – الكَشَّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – دار الفكر للطباعة والنشر – ط١ – ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١٤- سليم مفتاح العربي الصديق – التصوير البياني في سورة الحاقة – بحث منشور في مجلة جامعة المرقب – ع ٦ – ٢٠١٥م

١٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير – مؤسسة الريان للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – ط٣ – ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٦- الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – د ط، د ت.

١٧- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تحقيق: أحمد بن عبد الرزاق البكري وآخرون – دار السلام للطباعة والنشر – ط٤- ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

١٨- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢ه) – تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – د ط – د ت

١٩- سعود الصاعدي – صناعة البيان، بحث في الموازنة بين صور المعاني – مكة المكرمة – نادي مكة الثقافي الأدبي – ط١ – ٢٠١٣م

٢٠- السَّكَّاكِي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر بن محمد (ت ٦٢٦ه) – مفتاح العلوم – حققه، وقدم فهارسه: عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ٢٠٠٠م

٢١- عبد السلام أحمد الراغب – وظيفة الصورة الفنية في القرآن – فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب – ط١ – ٢٠٠١م

٢٢- السَّمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي الحنفي (ت ٤٨٩ه) – تفسير القرآن، تفسير السَّمعاني – المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم عباس بن غنيم – دار الوطن – الرياض – ط١ – ١٩٩٧م

٢٣- عبد العظيم المطعني – المجاز في اللغة و القرآن الكريم بين الإجازة، والمنع، عرض وتحليل ونقد – مكتبة وهبة – ط١ – د ت

٢٤- عبدالله الخضيري – النهار في القرآن الكريم – بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية الدولية – مج ٤ – ع٤ – ٢٠٢٠ م

٢٥- أبو عبيدة، معمر بن المثنى – مجاز القرآن – عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين – مكتبة الخانجي – القاهرة – د ط – د ت.

٢٦- العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١ه) – تفسير القرآن الكريم – مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية – المملكة العربية السعودية – ط١ – ١٤٣٦ه

٢٧- العثيمين، محمد بن صالح (ت ١٤٢١ ه) – شرح العقيدة الواسطية – خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل – دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – ط٦ – ١٤٢١ ه

٢٨- ابن عطيّة، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢ ه) – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ – ١٤٢٢ ه

٢٩- علي علي صبح – التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية – المكتبة الأزهرية للتراث – د ط – د ت – ١٢٢

٣٠- غوستاف فون غرنباوم – شعر أبي دؤاد الإيادي، ضمن كتاب: دراسات في الأدب العربي — ترجمة: محمد يوسف نجم وآخرين – بيروت – ١٩٥٩

٣١- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ) – الجامع لأحكام القرآن – مراجعة: صدقي محمد جميل – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – دط – ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣٢- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٢٣ ه) – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – المطبعة الكبرى الأميرية – مصر – ط٧

٣٣- قيس بن الخطيم – ديوانه – تحقيق: ناصر الدين الأسد – بيروت – لبنان – ط٢ – ١٩٦٧م

٣٤- محمد أبو موسى – آل حم غافر، وفصلت، دراسة في أسرار البيان – مكتبة وهبة – القاهرة – ط١ – ٢٠٠٩م – ٢٢٢

٣٥- محمد أبو موسى – التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل علم البيان – مكتبة وهبة – القاهرة – د ط – د ت

٣٦- محمد أبو موسى – الزمر، محمد، وعلاقتهما بآل حم، دراسة في أسرار البيان – مكتبة وهبة – ط١ – ٢٠١٢م

٣٧- مريم عبد الهادي القحطاني – صورة الصبح في الشعر الجاهلي – بحث منشور في مجلة جامعة سامراء – العراق – المجلد ١٧ – ع ٦٦ – السنة ١٦ – ٢٠٢١م

٣٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور – لسان العرب – دار صادر – بيروت – لبنان – د ط – د ت.

٣٩- النَّحَّاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (ت ٣٣٨ه) – إعراب القرآن – وضع حوشيه، وعلَّقَ عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢١ه

٤٠- نوري حمودي القيسي – شعراء إسلاميون – عالم الكتب – دار النهضة – بيروت – ١٤٠٥ه، ١٩٨٤م

٤١- الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨ه) – التفسير البسيط – التحقيق رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي – الرياض – ط١ – ١٤٣٠ ه

٤٢- وهبة بن مصطفى الزحيلي – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – دار الفكر المعاصر – دمشق – ط٢ – ١٤١٨ه

٤٣- يحيى بن حمزة العلوي اليماني (ت ٧٤٥ه) – الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق الإعجاز – تحقيق: الشربيني شريدة – دار الحديث – القاهرة – د ط – ٢٠١٠م